



ديوان جند الإنكشارية ومقام الحاجي بكتاش ولي بإيالة تونس: الولاء ورمزية الانتماء العثماني

مؤيد المناري*

الملخص

هذا المقال، هو دراسة لمجموعة من النصوص التاريخية المتعلقة بالجهاز العسكري العثماني وديوان جند الإنكشارية الذي أسسه سنان باشا بولاية تونس بعد إلحاقها رسمياً لإدارة الدولة العثمانية. يعرض هذا العمل بشيء من الدقة تلك التراتبية العسكرية "المعقدة" لجماعات ديوان الجند، وذلك بتحديد وضبط أسماء رتب ووظائف جماعات العسكر وكبار ضباط الإنكشارية الذين بلغ عددهم أربعة آلاف عسكري. وكشفت هذه الدراسة عن أسماء بعض موظفي الديوان ومساعدتهم من الفِرَق والمجموعات الذين ذُكرت أسماؤهم بمصطلحات غير مفهومة بين أسطر نصوصنا التاريخية، وذلك لتعريبها من قبل المخبرين عن اللغة التركية دون تقديم تعريف لها. ويقدم هذا المقال قراءة جديدة حول تناظر ما حملته كتب الأخبار التونسية وما انطوت عليه المصادر والمعطيات الأرشيفية التركية الرسمية وتمايزها بخصوص طبيعة التنظيم العسكري والسياسي الذي تم اعتماده بعد تمركز الأتراك بتونس. فديوان الجند الذي أنشئ بولاية تونس إثر الفتح العثماني هو نسخة مصغرة من "الآغە كاسي" لدى الأتراك. كما أن نظام "الوجق الإنكشاري" العثماني، تم اعتماد مثيله من طرف سنان باشا وسمّاه داراً من "ديار الإنجيرية". وقدّم المقال تحليلاً جديداً لما اصطلح على تسميته بـ "ثورة البلكباشية" سنة 1591 م، مبيناً في ذلك موقع الداى - كبير فرقة المشاة منذ 1574- منها، وحاسماً الجدل في حقيقة الدور الذي عاد له بعد التخلّص من سطوة جماعة البلكباشية والأوده باشية وكبار أغاوات العسكر المستبددين الطغاة.

وأخيراً يطرح هذا المقال موضوعاً جديداً يكمن في الربط بين الجانب العسكري والروحي الصوفي، وهي علاقة الجند الإنكشاري بالتصوّف التركي البكتاشي المتمثّل في حضور مقام "الحاجي بكتاش ولي" في رحاب الديوان المنصور بالإيالة التونسية. ويبحث المقال في عنصره الأخير عن ظروف انتقال هذا التصوّف البكتاشي للإيالة، والذي تبين أنه وصل لتونس عن طريق جماعات الجند المتطوعين وشراكسة إيالة مصر الذين كانوا من مريدي تكة "قايقوسوز" البكتاشية بالقاهرة، والذين دعاهم السردار سنان باشا للمشاركة في معركة حلق الوادي ضدّ الإسبان، ليسكنوا بعد الانتصار إيالة تونس كأصحاب تيمار واقطاعات فلاحية بوصفهم فرسان سباهية في الجيش الإنكشاري العثماني.

الكلمات المفتاحية: مقام حاجي بكتاش ولي، البكتاشية، "الآغە كاسي"، الديوان المنصور، الجند الإنكشاري، آغە الإنكشارية، البلوكباشي، الأوده باشي، الداى، الدولاتلي، سنان باشا، متطوعة مصر.

* باحث في التاريخ والآثار الحديثة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية.



Résumé

Cet article présente une nouvelle lecture abordant la question de la similitude du « *Ocak* » ottoman, « *Vağak* » en arabe avec celui établi par Sinan à Tunis et appelé « *Dar al-yenşeriyye* ». Nous avons pu démontrer l'existence d'une ressemblance entre l'institution administrative turque appelée « *Ağa kapısı* », porte des *Ağa-s*, adoptée par les Turcs à Istanbul avec celle de l'institution du *Divân* qui a été instaurée par Sinan dans la nouvelle Régence de Tunis. Ce corps militaro-administratif de quatre mille janissaires se compose d'une classe dirigeante appelée en turc « *Cemaat* », en arabe « *Gemmant* », une sorte de communauté de grands chefs turcs « *Ağa-s* » regroupée dans l'institut du *Divân*. Nous trouvons au sommet de la hiérarchie qui caractérise cette assemblée leur chef appelé en arabe « *Ağat-al-yenşeriyye* », puis en deuxième position vint le groupe des « *Blukbaşı-s* », ensuite ceux des « *Odabaşı-s* » et enfin, au plus bas de la hiérarchie, on trouve les petits soldats sous le nom de « *Yoldaş* ».

D'un autre côté, l'article aborde le lien entre l'armée ottomane et la confrérie soufi des *Bektâşi*. Le texte d'une inscription ottomane « *osmanlı* », gravée sur le linteau d'une chambre située au fond du *Divân*, nous confirme l'existence d'un mausolée du grand *Şeiḥ Ḥağī Bektaş Velī*, le chef d'un ordre soufi « *tarikāt* » pratiqué en Anatolie depuis le XV^e siècle, celui qui a donné son nom à la *Bektâşiyya*. Cette confrérie, à laquelle sont affiliés les janissaires turcs, a été implantée à Tunis par l'intermédiaire de soldats venant du Caire, et qui ont participé à la conquête à côté de Sinan. Les disciples du mouvement *Bektâşi* « *Gaygusuz* » au Caire étaient donc derrière l'instauration de cette « *tarikāt* » à Tunis. Après avoir été appelés par *Sinan Paşa* pour participer à la bataille contre les Espagnols, ces soldats ont choisi de s'installer dans le pays et de s'approprier des *Timar* dans la nouvelle régence conquise.

Mots clés: Mausolée de *Ḥağī Bektaş Velī*, le Bektachisme, La porte des *Ağa-s* « *Ağa Kapısı* », le *Divân* de Tunis, les janissaires turcs, le *Ağa* des janissaires, le *Bulukbaşı*, l'*Odabaşı*, le *Dey*, le *Devletli*, Sinan Paşa, Soldats volontaire d'Egypte.



Abstract

This article offers a new reading on the similarity of the Ottoman “*Ocak*”, *Vağak* in Arabic, with that established by Sinan in Tunis and called “*Dar al-yenşeriyye*”. It has also been revealed that the Turkish administrative institution called “*Ağa Kapısı*” adopted by the Turks in Istanbul is similar to the *Divan* institution that Sinan established in the new Regency of Tunis. This military-administrative body of four thousand janissaries consists of a ruling class called in Turkish “*Cemaat*”, a kind of several communities of great Turkish chiefs “*Ağa-s*” grouped together in the *Divan* Institute. These communities are subdivided into a hierarchy of groups, and they carried out both military and administrative tasks. At the top of this hierarchy is the head of the Janissaries called “*Ağat-al-yenşeriyye*”, then in second place is the group of “*Blukbaşı-s*”, then those of “*Odabaşı-s*” and finally, below, there are the small soldiers under the name “*Yoldaş-s*”.

Finally, the article discusses the moral link between the Ottoman army and the Sufi spirit of *Bektâşi* mysticism. The text of an Ottoman inscription “*osmanlı*” engraved on the lintel of a room at the bottom of the *Divan* has just informed us about the existence of a mausoleum of Grand *Şeyh Haği Bektaş Velī*, the leader of a Sufi order “*tarikāt*” practiced in Anatolia since the fifteenth century, and the name from which the practice comes. The brotherhood, faithful to Turkish Janissaries, was established in Tunis through the Janissaries of Cairo, who participated in the battle of conquest next to Sinan. It was the Ottoman soldiers, disciples of the *Bektâşi* “*Gaygusuz*” movement in Cairo, who were behind the establishment of this “*tarikāt*” in the *Divan* of Tunis. After being called by *Sinan Paşa* to participate in the battle against the Spanish, and without return, these soldiers chose to settle as owners of sectors of the *Timar* in the new conquered regency.

Keyword: Mausoleum of *Haği Bektaş Velī*, *Bektaşī*, the high door of *Ağa-s* “*Ağa Kapısı*”, the *Divân* of Tunis, Turkish janissary, the *Ağa* of janissary, the *Bulukbaşı*, the *Odabaşı*, the *Dey*, the *Devletli*, *Sinan Paşa*, the volunteer soldier from Egypt.

المراجع لذكر المقال:

مؤيد المناري، «ديوان جند الإنكشارية ومقام الحاجي بكتاش ولي بإيالة تونس: الولاء ورمزية الانتماء العثماني»، السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد 14، سنة 2022.

الرابط : <http://www.al-sabil.tn/?p=10136>



ما تزال الكتابة في تاريخ السنوات الأولى من تركيز المؤسسات الإدارية والعسكرية العثمانية بإيالة تونس تحتاج لمزيد من التوضيح، ولقراءة متأنية تعتمد على منهج المقارنة لحصر مفاهيم بعض المصطلحات التي بقيت ضبابية ومجمدة في نصوص مصادرها التاريخية المتعلقة بالقطر التونسي. ومن هذا المنطلق يجمعني وإياكم في هذا المقال حديث هام في تقديري حول أمرين أساسيين، الأول يتمثل في الحديث عن الإدارة العسكرية العثمانية بإستانبول التي تعرف باسم "الأغه كابسي"، ومدى تشابه هيكلها وتراتبية إدارتها مع هيكل مؤسسة الديوان بإيالة تونس. والأمر الثاني يتمثل في الحديث عن مسألة التصوف البكتاشي للجند الانكشاري التونسي وعلاقته بالشخصية التاريخية الهامة التي كان لها أثر كبير في مؤسسة الديوان ألا وهي شخصية "الحاجي بكتاش ولي" (*Hağī Bektāš Velī*)، هذا الشيخ الذي انتقل من عالم التصوف إلى عالم الزعامة ليصبح بمرور الزمن أبا روحياً لطائفة الانكشارية ومحل تقدير سلاطين الدولة ووزرائها وكبار بκληربايات صناعها، ولتتجذر صورته في المخيال الشعبي للعثمانيين الأتراك وللجند الإنكشاري أينما حل. ولم يغيب الحضور الرمزي لهذه الشخصية في نفوس طائفة الجند الانكشاري الذي نزل سنة 1574م بحلق الوادي، إذ كان يتكون من مجموعة من "المحبين" الذين انحدروا من التربية البكتاشية واندمجوا في الجيش العثماني، ويعرفون بتسمية "صناديد ورجال بكتاشيان". ولقد احتفظت لنا النقائش المعمارية العثمانية بمدينة تونس باسم هذا الولي مكتوباً على نقيشة مثبتة بمقر دار الشريعة أو ما يعرف بالديوان¹، لذا ارتأينا الوقوف عند هذه الشخصية الهامة ذات الرمزية التاريخية الكبيرة والزعامة الروحية العالية، وإبراز أهميتها في الهيكل العسكري العثماني بكل من إستانبول وتونس. ففي ما يكمن التطابق بين الهيكل العسكري للديوان العثماني بإستانبول وبين التراتبية الإدارية لهيكل الديوان الجند العثماني بإيالة تونس؟ ومن هو الحاجي بكتاش ولي؟ ومتى كان أول حضور لهذه الطريقة بتونس؟ ماهي علاقته بالمؤسسة العسكرية العثمانية؟ ولماذا دفن بالديوان؟ وكيف وصل التصوف البكتاشي إلى تونس؟ سنحاول الإجابة عن مجمل هذه الأسئلة وذلك لفهم ظروف وملابسات نشأة هذه الطريقة، ذائعة الصيت في المشرق والمغرب.

1. من مؤسسة "الأغه كابسي" بإستانبول إلى ديوان الجند بإيالة تونس

1.1. "الأغه كابسي" أو مؤسسة الأغاوية بإستانبول

يعود النظر في شؤون إدارة العسكر وتنظيم هيكله بمركز الخلافة العثمانية إلى مؤسسة الأغوية التي تعرف بالتركية "الأغه كابسي" (*Aga kapısı*)، وهو مكان إدارة الديوان بإستانبول تحت قيادة الأغا وموظفي كبار آغوات الإنكشارية وهم الأعلى مرتبة من فيالق الجنود الإنكشارية. ويتأسس أعلى هرم هذه المؤسسة آغة الإنكشارية، ويعين من قبل السلطان بفرمان عال، ويكلف بتأمين ثلاثة وظائف سياسية وعسكرية وإدارية وهي أولاً السعي لتحقيق طاعة الإنكشاريين وولائهم للسلطان العثماني والباشا، ثانياً ترأس الحملات العسكرية والسفر بالجيش، وثالثاً يكون الأغا مسؤولاً عن حفظ الأمن والانضباط سواء في مركز الخلافة أو في إحدى الصناجق التابعة للدولة. ويكون تعيين آغة الإنكشارية إما عبر انتخابه من بين كبار آغوات الديوان أو بتعيينه مباشرة من الوزراء أو الباشاوات أو الميرميران القديما المرسمين في مناصبهم. وعندما يترقى آغة الإنكشارية يصبح في مرتبة الميرميران أو قبطان باشا أو يتقلد عنوان "صنّجق باي" أي والي صنّجق، ومنهم من أصبح قبطان باشا في البحرية العثمانية. كما صادف أن وصل آغة الإنكشارية لمرتبة الصدر الأعظم وذلك عندما عزل السلطان محمد الرابع (1687) لصغر سنّه (7 سنوات) من طرف الوزير صوفو محمد باشا وسلّم مهر الصدارة العظمى لآغة الإنكشارية آنذاك قاره مراد آغه. ولآغة الإنكشارية علمٌ من القماش الأبيض ويحمل في يديه طوغان (مفرد طوغ *Tuğ*) يستعرضها عند الخروج للسفر. ونادراً ما يزور آغة الإنكشارية

¹ مقر المكتبة العمومية بنهج الديوان التابعة للمندوبية الجهوية لوزارة الثقافة والمحافظة على التراث.

قشلة الجنود، إذ يجتمع مرة واحدة في الأسبوع مع كبار الأغوات المعروفين باسم "كاتار أغلري" (Katar ağaları) بديوان الآغه للنظر في شؤون وجق الانكشارية. ويكون آغة الانكشارية عضوا من أعضاء الديوان الهمايوني وصاحب كلمة نافذة إذا كان يحمل عنوان "الآغه - الباشا" أي من بين الأغوات الذين تم تعيينهم من خارج وجق الانكشارية، من رتبة باشا أو وزير أو ميرميران، فيكون صاحب كلمة ونفوذ في الديوان الهمايوني ويُدلي بدلوه ويشارك في أخذ القرارات السلطانية. أما إذا كان برتبة آغة الانكشارية فقط فليست له كلمة نافذة، ويتم استدعاؤه لاجتماع ديوان الوزراء فقط للاستماع للحوارات والنقاشات التي تدور بالديوان الهمايوني، وهو مطالب بالإجابة إذا سئل من قبل الصدر الأعظم².



الصورة 1: لوحة بمقاييس (100 x 90 سم) للرّسام الفرنسي جون باتيست فان مور، توزيع مرتبات الإنكشارية من قبل أغوات العسكر بحضور بعض السفراء الأجانب بفناء قصر الطوب كاي سراي، إستانبول، 1725، لوحة معروضة بمتحف البيرا.

وتتكون مؤسسة "الآغه كابسي" من تراتبية إدارية منظمة فبعد آغه الانكشارية نجد فرقة كبار الضباط المساعدين ويسمّون بالتركية "الكاتار أغلري" ويأتون في المرتبة الثانية في هرم التراتبية بعد آغة الانكشارية وعددهم 9 أغوات : السكبان باشي آغه، والغول كتهدا آغه، والزرجي باشي آغه، وصمصونجو باشي آغه، وطورناجي باشي آغه والخاصكي أغلر والباش شاوش آغه والمحضر آغه والكتهدا يري آغه. يلي الضباط المساعدين فرقة تحتل المرتبة الثالثة وهي فرقة فوق الضباط الأورطلر، واشتهر آغواتها بقولة "أنا من خلقت الجبال الصغيرة"، وهي تتكون من 5 أغوات : الباش يايا باشي آغه والبلوك باشي آغه والصولاك باشي آغه وإمام الوجق آغه، وكاتب لانكشارية آغه. وأخيرا نجد فرقة ضباط الأغوات المشهورين باسم التجرجي أغلري (çorbacı ağaları) وتتكون هذه الفرقة من 10 أغوات وهم على التوالي: التجرجي، والأوده باشي، ووكيل الخرج، والبيركدار، والإمام، والباش اسكي، والأسطا والباش كاره كولكجو والكره كولكجولر وطائفة العجم أوغلري³. ويتكون "الآغه كابسي" من مكان يجتمع فيه كبار أغوات العسكر يعرف بالديوان ومن مسجد تقام فيه الصلاة ويكون في عهدة إمام مؤسسة الآغاوية ومن حمام للاستحمام يعرف بحمام الآغه كابسي ويحتوي على عدد من الدلاكة الذين يتم استقدامهم من الجنود "العجم أوغلري" وهم الذين تم إلحاقهم مؤخرا بوجق الإنكشارية.

² كوتشو رشاد أكرم، 2004، الانكشارية، (باللغة التركية)، اسطنبول، ص 74.

³ المرجع نفسه، ص 76.



إذا هؤلاء هم الضباط السامون الذين يتواجدون في أعلى هرم إدارة مؤسسة الآغوية، التي تشرف على تنظيم العسكر العثماني. أما عن العسكر العثماني فهو يتكوّن من فرقتين كبيرتين الأولى تعرف باسم "اليرلي كولو عسكر" (Yeri kulu) والثانية تعرف باسم "الكابي كولو عسكر" (Kapi kulu) أي عسكر الممالك السلطانية. تتكون الفرقة الأولى من كبار السباهيين أصحاب التيمار والزعامات، وهم الذين يخرجون للانتشار في الإيالات (عسكر إيالتي الروملي والأناضول والإيالات الأخرى)، وكلهم فرسان يجمعون ضريبة المحصول المتمثلة في العشر من محصول الأراضي الاقطاعية. أما الفرقة الثانية فهي فرقة عسكر "الكابي كولو" وهو المسمى أيضا بعسكر الممالك السلطانية والذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: وجق عسكر البحر، ووجق الفرسان السباهية، ووجق المشاة (Yaya ocağı). وينقسم وجق المشاة بدوره إلى 6 أوجاق عسكرية: الأول وجق السقائين العارفين بأماكن الآبار وعيون المياه، ووجق المختصين في صناعة الألغام، ووجق عربات المدافع، ووجق المختصين في الرمي بالمدفعية، ووجق الجبجلر المختصين في تنظيف وإصلاح الأسلحة، وأخيرا **وجق الإنكشارية**. أما عن هذا الوجع السادس الذي يجمع الجنود الانكشارية الذين يتم تجميعهم منذ سن مبكرة عن طريق نظام الدفشرما وتتم تربيتهم في القشلات العسكرية، فهو يتكوّن من 196 طابورا ويعرف الطابور في اللغة العثمانية أيضا بمصطلح "أورطه" (Orta)، ولكل طابور رئيس يسمى جوربجي (çorbaci)، وتتوزع الطوابير كالآتي: "الجماعات ل" أي الجماعات بـ 101 طابورا، والبلوكلر بـ 61 طابورا، وأخير السكبانلر بـ 34 طابورا، فيكون المجموع 196 طابورا. وكل طابور من هذه الطوابير الثلاثة ينقسم إلى طوابير أخرى أقل منه، فمثلا ينقسم طابور الجماعات ل" إلى أربعة طوابير وتنقسم البلوكلر إلى طابورين في حين أن طابور السكبان وهي الفرقة المختصة في تربية كلاب الصيد فهي لا تتجزأ⁴.

2.1. الديوان أو دار الديوان بإيالة تونس

يشير ابن أبي دينار إلى أن السلطة العثمانية قامت منذ البداية بتركيز ديوان يسهر على تنظيم شؤون فيالق الجند الإنكشاري، ويفصل لنا القول في الهيكل الإداري لهذا الديوان ويقدم لنا أسماء الخطط العليا وتراتبية الضباط وكبار الآغوات صلب الديوان، بطريقة لا تدع أي مجال للشك في أن هذا الديوان هو صورة مصغرة من "الآغة كابسي"، الديوان العثماني بمركز الخلافة إستانبول. لكن الطريقة السردية التي يقدم بها ابن أبي دينار المعطيات المتعلقة بالديوان تنقسم إلى فترتين زمنيتين يفصل بينهما حدث انقلاب صغار الضباط على الأوده باشية والبلوكباشية، سنة 1591، والذي جدّ في صلب الإدارة العليا لديوان الجند.

وتأكيدا لكلام ابن أبي دينار فقد وضع سنان باشا ديوان إيالة تونس على نفس شاكلة ديوان الجزائر. فبالرجوع لتراتبية ضباط العسكر العثماني بالديوان الجزائري نجد نفس الأوليغارشية العسكرية المتكونة من بكلرباي أو باشا ينتخب لمدة 3 سنوات، وآغة إنكشارية يترأس الديوان، ومساعدته الكاهية ثم أطه باشية ثم بلوكباشي وأوده باشي ووكيل الخرج المسؤول على النشاط البحري وأعمال الترسانة والسلاح ثم شاوش، وفي آخر السلم يأتي اليولداش أو الإنكشاري. كما تذكر المصادر التاريخية عدد الإنكشارية التي استجلبت لحراسة وصيانة قلاع الجزائر وعددها 6000 إنكشاري من كبار الضباط الأتراك سنة 1517 م، عدد لا يبعد كثيرا عن الجنود التي ركزها سنان باشا بتونس وعددها 4000 عسكري من كبار الضباط⁵. أما عن إيالة مصر فالأمر يختلف قليلا عن أوجاق الغرب في مسألة تنظيم الديوان وتقسيم وجق الإنكشارية. ففي مصر قسم العسكر إلى خمسة فيالق: فيلق جماعة القونللو (المتطوعين)، وفرقة جماعة التوفنكجيان (حاملي البنادق)، وفرقة جماعة الشراكسة (ما بقي من جيش الشركس المملوكي)، وفرقة جماعة

⁴ المرجع نفسه، ص 88، 90.

⁵ بلانتي أوجين، 1981، رسائل دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي 1579 - 1833، (باللغة الفرنسية)، ج 2، ص 16 - 17.

أمراء الشراكسة، وأخيرا فرقة الإنكشارية محافظي القلاع⁶. كما ترك السلطان يافوز سليم بمصر سباهية عددهم 3000 من سباهية الروملي والأناضول فرسانا ومشاة ورتب ديوانا للجند بقلعة الجبل وجعل الرئاسة فيه لآغة الإنكشارية وتحت مساعده الكتهدا ولكل جماعة من هذه الجماعات نجد بلوك باشي وأوده باشي وشواش⁷.

3.1. تراتبية كبار ضباط الديوان بإيالة تونس قبل سنة 1591: (آغة الانكشارية، الإيد باشية، وكيل الخرج، البلوك باشي والأوده باشي، واليولداش أو الانكشاري)

كان آغة الإنكشارية (*Yeniçeri ağası*) أو آغة الديوان أو آغة الكرسي في أعلى هرم ديوان الجند، ويتم تنصيبه بأمر من الباب العالي مباشرة ففي وثيقة مؤرخة بشهر أوت من سنة 1579 تم إعلام الجنود الإنكشارية المرابطين بولاية تونس بتعيين حسين زغرجي⁸، أحد الفرسان الإنكشارية المنتسبين لحاشية السلطان في منصب الآغة بديوان جند تونس⁹. ويبدو أن هذا التعيين حصل لتدارك ممارسات مخالفة للقانون نتجت عن طائفة من متمرد الجند الإنكشاري فقد ألح السلطان في أمره المرسل أنه على الإنكشاريين عدم مخالفة أوامر الآغة حسين وعدم التمرد وفسح المجال لممارسة أعمال الشقاوة وأن يكون الجند الإنكشاري لحمة واحدة ويعمل على القبض على المتمردين وتسليمهم إلى الآغة لمعاقبتهم¹⁰. وحسب كتاب المؤنس فإن أول آغة ترأس ألفي جندي إنكشاري قدموا صحبة سنان باشا وقاموا بحاصرة مدينة تونس يدعى حبيب باي¹¹. وكان علي آغة يقود ألف إنكشاري أرسلهم سنان باشا للكلج علي باشا كتعزيز لأخذ قلعة حلق الوادي¹².



الصورة 2: فرقة الزغرجي لر المعنتين بـكـلاب السلطان العثماني.
(من ألبوم كودكس فيندوبونونسيس 8626، المكتبة الوطنية بالنمسا، ق 16).

⁶ السيد محمود (سعيد محمد)، 1990، إيالة مصر في القرن السادس عشر، (باللغة التركية)، حوليات جامعة مرمرة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الحولية عدد 17، اسطنبول، ص 174.

⁷ نفس المرجع، ص 178.

⁸ الزغرجي (*Zagarcı*) هو صنف من أصناف الإنكشاريين المقربين لحاشية السلطان العثماني والمستولون عن تربية كلاب الصيد. كما يتراأس هذه الفرقة شخص يعرف بالزغرجي باشي ويأتي في الرتبة الثانية بعد الكتهدا في وجق الإنكشارية.

⁹ النص العثماني: "تونسده واقع أولان يكيجري قولرم زيد قدرهمه حكم كه: توقيع رفيع همايون واصل أوليچاق معلوم [أوله] كه دركاه سعادت دستكاهمه اتلو زغرجيلرندن حسين زيد مجده سيزه أغا نصب أولنمشدر، بيوردوم كه". الترجمة العربية: "حكم إلى عبيدي الإنكشارية المرابطين في تونس زيد قدرهم: عند وصول أمري السلطاني ينبغي العلم بأنه تم تعيين حسين زيد مجده وهو من الفرسان الزغرجية في مقام سدة سعادي آغا عليم ...". بيت، المصدر السابق، ص 235.

¹⁰ نفس المصدر، ص 235.

¹¹ ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، 1967، ص 186 - 187.

¹² خوجه (حسين)، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، حققه ووضع حواشيه محمد أسامة زيد، دار ابن رجب وابن فوائد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ج 2، ص 289.

ويفيدنا ابن أبي دينار أن الآغا يتراأس الديوان لمدة ستة أشهر: "وعادة الآغة ستة أشهر لا يخرج من بيته إلا إلى الديوان أو في يوم معلوم"¹³. وكان الآغا يتلقى الأوامر السلطانية مباشرة من عند آغة الإنكشارية بإستانبول: "وكان الآغة في مبتدأ أمرهم تأتيه الأوامر السلطانية من الباب العالي من عند الآغة الذي هناك"¹⁴. ويقصد ابن أبي دينار بقوله "الآغة الذي هناك" آغة الإنكشارية الذي يتراأس الديوان المعروف عندهم باسم "الآغة كاسي". وبالرجوع إلى الوثائق العثمانية تبين أن هذا الأمر صحيح فأغة الإنكشارية بإستانبول يرأس آغة إنكشارية ولاية تونس عبر أوامر تسلم في عهدة مساعد رايس بحر يسافر على متن إحدى السفن المتجهة لأوجاق الغرب. ففي سنة 1579 أرسل الديوان العثماني أمرا لبكرباي تونس وأغوات الإنكشارية، وفي سنة 1584 م، أرسل أمرا آخر إلى بكرباي تونس وقاضي تونس وآغة الإنكشارية، وبتاريخ شهر أكتوبر من سنة 1587 حذر الباب العالي آغة إنكشارية ديوان تونس والبلوكباشية والأوده باشية ووكلاء الخرج وجنود الإنكشارية بعدم التدخل والانحياز وأخذ موقف الحياد تجاه المشكل الحاصل بين بكرباي تونس حسن باشا وبكرباي طرابلس محمد باشا مؤكدا أن القضاء الشرعي هو المكلف الوحيد بحل هذه الخلافات¹⁵. ويبدو أن هذه الأوامر هي متعلقة بالنزاع بين إيالة طرابلس الغرب والولاية التونسية الجديدة حول إقرار تبعية أوطان سوسة والمنستير والقيروان وقفصة وتوزر ونفطة كمناطق تابعة لإيالة طرابلس الغرب والتنصيص على عدم التدخل فيها¹⁶.

وحسب صاحب كتاب المؤنس فإن آغة الإنكشارية يرتدي عمامة خاصة به ولهذه العمامة التي تميزه عن باقي الأغوات رجل مكلف بإصلاحها. ولآغة الإنكشارية بتونس أيضا حرس خاص من الفرسان يرافقونه في المواكب الرسمية، يعرفون باسم "الإيه باشية" أو "ايد باشية" (*At başı*) أي الفرسان المرافقون وأطلق عليهم ابن أبي دينار اسم "الحجة الكبرى" وهي عبارة توصيفية لمشهد الموكب الذي يتنقل فيه الآغة، وذكرهم الصغير بن يوسف في كتاب التكميل الشافي للغليل باسم "إيه باشية" بقوله: "ثم تحت الآغة عشرة رجال يقال لهم "الإيباشية" يجعلون على رؤوسهم كالعروج من الريش أبيض ولهم فرجات كبار يلبسونها وهي من الملف وتحت هؤلاء العشرة بلكباشية"¹⁷. ويضيف ابن أبي دينار أن هؤلاء الحرس الفرسان "لهم علامة على رؤوسهم يقال لها اسكفه مزركشة بالقصب يلبسونها ساعة من نهار في مواكبهم وهم رُكبانٌ أمام آغتهم"¹⁸. والاسكفه هي عمامة تركية (*Üskiif*) انتشر استعمالها في زمن مراد الأول (1359 - 1389)، تصنع من جلد الماعز وتزين بأجود أنواع القصب. وكان الآغة يخرج مع موكب الباي في المحلة بوصفه آغة الإنكشارية. وكان الآغة يجلس بصدر الديوان، وله مترجم من اللغة التركية للغة العربية وله كتبة أيضا. وكان "الترجمان" كما أوردها ابن أبي دينار باللسان التركي، يجلس بجانب الآغة الناطق باللغة التركية¹⁹، ويقف كبير الشواش بين يديه ينتظر الأوامر.

¹³ ابن أبي دينار، المصدر السابق الذكر، ص 302.

¹⁴ المصدر نفسه، ص 301.

¹⁵ النص العثماني: "تونسده يكيچريلم آغاسنه حكم كه: حالا بكربايكيسي أولان حسنك سابقا طربلوس غرب بكر بكيسي أولان محمد ايله كوريلجك شرعي دعوالي أولوب انك كبي طرفينك أحواللى شرعله كوريلوب حكم قاضي أولاجق أولان خصوصله انده أولان بلوك باشيلر وأوده باشيلر ووكيل خرجلر ويكيچري قوللرم أصلا بر جانبه حمايت ايتميوب وشرعله كوريلان مصالحلرينه قارشيميوب حق مستحقته واصل اولمه سن أمر ايدوب بيوردوم كه "... الترجمة: "حكم إلى آغة انكشاريتي في تونس: نظرا لوجود دعوى شرعية مرفوعة بين بكرباي تونس والحالي حسن وبكرباي طرابلس السابق محمد فقد أمر عند النظر شرعا في أحوال الطرفين ألا يقوم رؤساء البولوك ورؤساء الأود [ه باشية] ووكلاء الخرج وجنود الإنكشارية بحماية أي طرف في المسألة التي تخضع لحكم القاضي..." انظر: بيات (فاضل)، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية تونس في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، المجلد 10، اسطنبول، 2022.

¹⁶ المصدر نفسه، ص 113.

¹⁷ محمد الصغير بن يوسف، 2023، ج1، ص 322 - 323.

¹⁸ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301.

¹⁹ لقد كان اسم رجب من الأسماء التركية المتواترة كثيرا، فقد ذكر أبو القاسم عظم في كتاب الأجيوبة أن كاتب الديوان سنة 1006 هـ / 1598 م، المدعو رجب تقدم له بالسؤال حول مسألة ميراث أرض معدة للحراثة بواد السراويل جوفي مدينة القيروان المحروسة. عظم (أبو القاسم)، كتاب الأجيوبة، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيت الحكمة، 2010، ج 9، ص 369.



الصورة 3: آغة الإنكشارية تشركس آغا، بريشة الرسام لامبار دي فوس، 1574 م.
(مكتبة الولاية والجامعة برين، ألمانيا).

وأما البلوكباشي أو البلكباشية (*Bölükbaşı*) فيأتون مباشرة تحت آغه الديوان والإيد باشية، ويذكر ابن أبي دينار أن "أحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والباش للرأس ومعناه رأس الجماعة وهو أعلى من لفظ أوده وأعلى رتبة منه"²⁰. وهي رتبة موجودة في "الآغه كابسي" بمركز الخلافة وتأتي فوق رتبة "الأورطلر" أي الجماعة الذين يتوسطون آغه الإنكشارية والجند، وهو قائد البلوك الواحد من العسكر وفي رتبة آغه. ونفس الشيء في ديوان الجند بإيالة تونس يكون البلوكباشي تحت آغه الديوان وفوق الأوده باشي الذي يعتبر من فئة الضباط المتوسطين أيضا وهم يفوقون الداي والجنود الإنكشارية بمرتبة. ويفيدنا ابن أبي دينار أن عمامة البلوك باشي هي أكبر من الطراير التي يلبسونها الأوده باشية. كما كان البلوكباشي يخرج مع الباي للمحلة. ويفيدنا الصغير بن يوسف بمعلومات جد هامة حول البلكباشي فيقول: "يلبسون الرزة وهي عمامة محكمة الشد ما يلبسها إلا كبير أو حاكم في القوم"²¹. ويضيف صاحب كتاب التكميل الشافي للغيليل أن "أصل البلكباشية أربعون ثم تزايدوا إلى أن وصلوا مائة"²². وحسب نفس الكاتب فإن البلوكباشية من كبار الجماعة تزوجوا من بنات أهل تونس ناسبوهم وأنجبوا منهم أولادا يعرفون بأبناء البولكباشية ولهم خدام يعرفون باسم العزارة ومفرده عزري وهم من أبناء العرب يسوسون خيل البلكباشية²³.

²⁰ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301.

²¹ الصغير بن يوسف، 2023، ج1، ص 324.

²² المصدر نفسه، ج 1، ص 323.

²³ المصدر نفسه، ج1، ص 325 - 326.



الصورة 4: بلوكباشي وآغة الإنكشارية، ق 16 م.

أما الأودة باشي (Odabaşı) فهو من جماعة الآغوات أيضا ومن يترأسهم يعرف بالأودة باشي آغة، وهو لدى الأتراك ضابط إداري بالديوان مهمته تنظيم مراسم التحية و"بروتوكول" التسليم عند اجتماع جماعة ضباط الديوان مع آغة الإنكشارية وتنظيم بلوكات العسكر في الدفاتر والواحد منهم يسمى أودة باشي وهو وكيل الأورطلر وخرندار وأمين صندوق المال.

وترك لنا الصغير بن يوسف نصا مطولا يصف فيه "الأودة باشي" أو "الأوضباشي بديوان جند تونس فيقول : "يلبس القفطان أفخر لباس الأتراك... وهذا القفطان من الملف كل على قدره ولا يكون إلا من الملف وهو لباس له جناحان ممدودان إلى أن ينتهي إلى الكف وهو مدور بالذراع كله يقال له الكُم وله عقد من نحاس من جهة ومن الجهة الأخرى عبون من حرير فإذا أراد أن يغطي ذراعه إلى الكف أدخل تلك العقد النحاس في العبون فيستعمل على ذراعيه وهذا القفطان مفتوح الصدر والبطن والأفخاذ والركبة إلى أن ينتهي إلى كعبي الرجل ويتحزمون عليه في أوساطهم... فإذا تقدم أحد من الأوضباشية لبس القفطان، ويتميز بالطرطورة يجعلها على رأسه وهي كحقن الزيت من شريطة كتان يلوونه في غلظ الصبع يدور بذلك الحبل على شاشية من الملف قدر رأسه ثم يتصاعد ذلك الدور إلى أن ينتهي إلى قلة رأسه، ثم يصعد بذلك إلى قدر الشبر رقيقا، وله من فوقه جناحان قصيران قدر أملتين فإذا لبسه الأودة باشي تصير أذناه عرايا وكذلك عنقه وجبهته، وحاصله ما يغطي إلا نصف رأسه الفوقاني ويلبس الشقشير (Çakşır) ويقال له المستا (Mest) أيضا كالتماق المعلوم إلا أن هذا من عند الكعبة ملف أحمر ولاصق في ريحة صفراء يدخل بها رجله في البشقم وهذا البشقم من لباس الترك جاءوا به من بلادهم وحاصله أن هذا أودة باشي

24n

²⁴ نفس المصدر، ج 1، ص 319 - 321.



الصورة 5: أوده باشي أو أوضباشي،
(ألبوم محمود شوكت باشا، من كتاب: تشكيلات وقيافة العسكر).

والأوده باشي بديوان جند تونس هو قائد العشرين رجلا من العسكر، يخرج معهم في المحلة وينفرد كل أوضباشي ورجاله بخباء من الكتان يجتمعون فيه أثناء السفر²⁵. ويذكر الصغير بن يوسف أن عدد الأوضباشية على أيام سنان باشا 150 أوضباشيا ولما ازداد العسكر وكثر ارتفع عددهم إلى 200 أوضباشي على عهده²⁶.

ولجماعة الأوضباشية جماعة أخرى تحتهم تعرف باسم "الصولاك" (*Solak*) "وعددهم ثمانية رجال لباسهم من الملف الأبيض فوق رؤوسهم ولهم فوق جبهتهم كالقرمود الطويل من نحاس مذهب فيه ريش لاصق منشور على أكتافهم قدر ذراعين، يخرجون من الديوان ويجلسون في دار الباشا فهم أكبر الأوضباشية في انتظار الترقى إلى منصب البلوكباشي"²⁷.



الصورة 6: أربعة من الصولاك يحيطون بصولاك باشي في استعراض عسكري بإسطنبول، ق 16 م.

²⁵ نفس المصدر، ج1، ص 321.

²⁶ نفس المصدر، ج1، ص 323.

²⁷ نفس المصدر، ج1، ص 324.



الصورة 7: ثمانية صولاك يحيطون بأحد من كبار أغوات الديوان، إسطنبول، ق 17 م.

والأودة باشية ينتمون إلى الضباط السامين للديوان. ويذكر ابن أبي دينار أن عددهم أربعة²⁸ و"لهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم أقبية بأكمّام طويلة واسعة من عند المرافق وفم الكمّ ضيق ويضمّ عند الكوعين بصناعة محكمة وعلى رؤوسهم طراير من الجوخ"²⁹ بصناعة مكلفة يمتاز بها³⁰. وكانوا يخرجون للمحلة صبحه الباي. وإذا ارتقى الأودة باشي في المناصب يصبح بلوك باشيا وإذا ارتقى البلوك باشي في المنصب يصبح آغة للديوان.

ويحتوي الديوان على شواش في صيغة الجمع المعربة، لأن المفرد شواش (Çavuş) والجمع شواش (Çavuşlar)، ورئيسهم هو الباش شواش آغه، (Başçavuş ağa) التي انتسبت له عائلة البشّاش التونسية اليوم. ويفيدنا ابن أبي دينار أن عدد الشواش ستة، يحضرون لدى آغة الإنكشارية ومهمتهم السهر على تسيير الشؤون الادارية والسياسية والاعتناء باستقبال الجماعة. ويبدو أن عددهم زاد من ستة إلى سبعة في السنوات اللاحقة فقد ذكر الصغير بن يوسف إن "عدد الشواش سبعة ولا يكونون إلا من الترك الأعاجم"³¹. وقال ابن يوسف أيضا إن "لترك شواش وهم الذين ينبهون على العسكر في السفر وغيره وقيامه الشواش له طرطورة على رأسه مثل طرطورة الأوضاشي إلا أنها ليس لها جناحان من فوق ويكشف رأسه ويستر رجله وله كعكة كحلة طويلة في قدر الجعبة الغليظة ويجعلها على كتفه"³². كما كان الشواش مكلفًا بالإتيان بالأجر الشهري لآغة الانكشارية إلى حدّ باب داره بعد تقاعده³³.

²⁸ عدد الأوضاشية هو 5 إذا اعتبرنا أن كل أوضاشي هو قائد لعشرين رجلا موزعين على مائتي دار. لكن يبدو أنه على عهد ابن أبي دينار أصبحوا أربعة أو يمكن أن يكونوا 4 يجلسون بالديوان والأوضاشي الخامس هو أغتهم أي المسؤول عنهم.

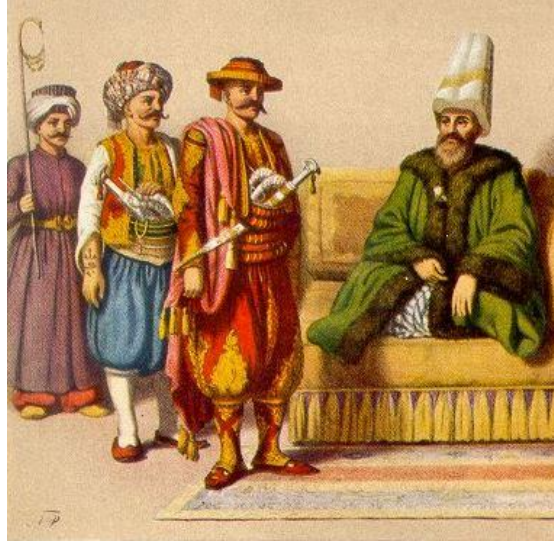
²⁹ الجوخ هو نوع من القماش المصنوع من الصوف. لكن هناك كلمة فارسية أخرى هي الخوج (húc) تعني نبتة عُرف الديك. وهي نبتة من فصيلة السيلوزيا تشبه رؤوس أزهارها القبعات العسكرية العثمانية التي توضع فوق الرأس.

³⁰ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301 - 302.

³¹ الصغير بن يوسف، التكميل... المصدر السابق الذكر، ج 1، ص 324.

³² المصدر نفسه والصفحة نفسها.

³³ المصدر نفسه والصفحة نفسها.



الصورة 8: من اليمين إلى اليسار: قبطان باشا، باشاوش الترسانة، شاوش الغلط، وشاوش الدار (ينطبق وصف الصغير بن يوسف على هذا الشاوش الأخير).

وأخيرا في أسفل الهرم يأتي **اليولداش** أو العساكر الينثرية وهم جنود العسكر الأتراك الذين يعرفون أيضا بتسمية "العجمي أوغلري" والذين يسكنون القشلات أو الفنادق الحفصية القديمة. ولا يجب احتساب هؤلاء الجنود من الأربعة آلاف جندي الذين قدموا مع سنان باشا فأولئك هم الضباط الساميون من كبار العسكر وإداريي الديوان، أما اليولداش فعددهم كبير ولا نعرف منهم غير أسماء ألف واثنتين وثمانين (1082) جنديا من طائفة الأكراد وجنود الأناضول والجنود القادمين من الإيالات المجاورة خاصة جماعة القونولو وشراكسة إيالة مصر. وينقل لنا الصغير بن يوسف نصا جميلا حول لباس اليولداش صغار الضباط فيقول: "أما عسكرهم فلباسهم السراويل والفرملة من سترته إلى عنقه وصدره مفتوحا ظاهرا جلده، وكذلك من لباسهم الغليظة فوق الفرملة ولها كُمان يصلان إلى المرفق وصدره أيضا مفتوح، ويتحزمون بالشملة في أوساطهم أو الكامار (*Kemer*) وهو معلوم ولا بد لليولداش منهم من زوج خدامي أو فرد يجعله تحت الحزام في وسطه ورأس الخدامي ظاهر، يلتفون ببرنوس كثيره أكحل ولا بد من تحجيم لحاهم ولو كان طعن في السن والهرم فهذه القيافة (*Kıyafet*) واللباس يقال لصاحبه يولداش"³⁴.



الصورة 9: إنكشاري أو يولداش، إسطنبول، ق 16 م.

³⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 318 - 319.

وكان الديوان يستوعب مهمة النظر في الدعاوى وقضايا الفقراء لذا أطلقت عليه تسمية المجلس الشرعي في الآن نفسه. وحسب وثيقة عثمانية قديمة بتاريخ سنة 1584 م، فمن عادات الديوان القديمة أنه عند النظر في هذه القضايا يستوجب حضور المفتي والقاضي والعلماء والصلحاء كافة في ديوان تونس المحروسة³⁵. أما ابن أبي الدينار فيذكر أن الآغة يأمر باستقبال أصحاب الشكاوى والمظالم فيتلقاهم الترجمان أولا ليكتب الشكاوى ويترجها قبل عرضها على الآغة بحضور أربعة من أوده باشي العارفين بالأمور القانونية، مهمتهم النظر في طبيعة الدعوى فإن كانت تتعلق بالشرع فيرسلونها إلى الفقهاء وإن كانت مسألة معقدة تؤجل إلى وقت لاحق لينظر فيها الداى بالقصة. وبعد الانتهاء من سماع الدعاوى وبت الحكم فيها، يرجع الآغة إلى منزله ويجتمع أكابر الديوان من خوجات وشواش حول الطعام، وبعدها يتوجهون إلى حاكم الوقت الداى بالقصة لإخباره بجميع ما حكموا به³⁶.



الصورة 10: خروج موكب آغة الإنكشارية في دورية ليلية. يتقدم الموكب جمع من الإنكشاريين والصولاك والشطار والجرجي باشي والعجمي أغلري. (من ألبوم كودكس فيندوبونونسيس 8626، المكتبة الوطنية بالنمسا، ق 16م).

وكان الديوان مقر اجتماع طائفة كبار العسكر، حيث يذكر صاحب كتاب المؤنس أن "لهم مكان يحضرون فيه كل يوم ساعة من نهار فيحضر الآغة وهذه الجماعة المذكورة [البلكباشي والأوده باشي] في ذلك المكان ويسمونه دار الديوان ولهم شواش ستة..."³⁷. ولم تكن جماعة كبار ضباط العسكر بالديوان منعزلة عن الباشا الذي يجلس بدار الخلافة وعن الداى الذي يجلس بالقصة، بل كانت تجمعهم علاقة وطيدة خاصة عند خروج المحلة، فقد ذكر ابن أبي دينار أن شواش الديوان يخرجون وينادون العسكر بالأسواق معلنين زمن الخروج للمحلة ليفقوا من الغد بعد ارتدائهم آلة الحرب أمام باب القصة. ثم يخرج الآغة والأوده باشية من الديوان متجهين لدار الخلافة أين يوجد الباشا الذي سيُلبس الخلعة للباي المكلف بقيادة المحلة. وكل هذا يكون في جو من المراسم ترفع فيه "البيارق" أي الأعلام ويخرج فيه كاهية الباشا والشطار³⁸ والرجال الأكابر وتدق فيه النوبة العثمانية بالطبول والزنجهارات، ويكون الطريق من دار الخلافة إلى القصة. وعند وصولهم لباب القصة غالبا ما يتقدم الداى ركب المحلة حتى أبواب المدينة ويقفل راجعا ليوصل آغة الديوان والأوده باشية والعسكر السير برفقة الباى³⁹.

³⁵ بيات، المرجع السابق، ص 129 - 130.

³⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 303.

³⁷ المصدر نفسه، ص 302.

³⁸ جمع شاطر (şatır) وهو جندي من المشاة يرافق الباشا في موكبه العسكري.

³⁹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 302.



الصورة 11: الشاطر، حرس الباشا، ق 16 م،
(ألبوم محمود شوكت باشا، من كتاب: تشكيلات وقياة العسكر).

ولقد ظهرت هذه المراسيم العسكرية العثمانية بمدينة تونس وغيرها من الإيالات العربية الإسلامية ولم تظهر بإيالات شرق أوروبا رغم سيطرة العساكر العثمانية عليها، وقد لاحظ ذلك ابن أبي دينار عندما قال: " وهذا الناموس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحت أيدي العساكر العثمانية"⁴⁰. وأطلق عليها الصغير بن يوسف مصطلح "دندنة" بقوله: "وأصل هذه الدندنة أن سنان لما ملك تونس خلف فيها أربعة آلاف من العسكر..."⁴¹.

ولقد أجمعت المصادر التاريخية على أن هذه الجماعات وطوائف العسكر يتم ترقيتها في تراتبية إدارية بواسطة الترقى أو "الطراقي" (*Terrakî*) باللسان التركي، فمن اليولداش الجندي الصغير الذي يقبض أقل راتب يترقى في الدار التي فيها جماعته إلى أن يصير من جماعة "باش يولداشية" ثم يصير من جماعة "أوده باشية" ثم يصير من جماعة "بلوكباشية" ثم يصير من رجال "إيه باشية" ثم يصير من جماعة "كاهية آغة الكرسي" ومنها إلى أعلى مرتبة في الديوان وهي "آغة العسكر" ليمكث فيها مدة ستة أشهر ثم يعزل بمرتبة 24 ناصري في كل يوم. وتسمى المصادر الإخبارية هذا التمشي بمصطلح "الطريق" فيقول الصغير بن يوسف مثلاً "فإذا ارتقى بمرتبه دخل في طريق البلوكباشية".

4.1. الداي قبل 1591 م: عسكري يمارس وظيفتين عسكرية وإدارية بالديوان

يُعتبر كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس من بين أهم المصادر التاريخية التي نقلت لنا أخباراً هامة عن اللحظات الأولى لقدم العثمانيين لولاية تونس. ورغم تأخرها زمنياً عن أحداث الفتح وطبيعة نسقها السردى وطابعها الروائي- فقد أورد الكاتب ما علق بالذاكرة الجماعية لدى معاصريه، ودون ما عاينه من أحداث في بداية فترة حكم الدايات. وإن استسقى ابن أبي دينار معلوماته من روايات شفوية منقولة عن طريق حفظ الخبر فإن تلك الروايات لا تبعد زمنياً عن سنوات السيطرة الأولى ويمكن لها أن تعلق بالذاكرة الجماعية على مدى حياة جيلين أو ثلاثة أجيال، لذا ليس باستطاعتنا أن نجردها من أدنى مصداقية. كما يذكر صاحب كتاب المؤنس أنه اطلع مباشرة على أحكام ورسائل كانت مبعوثة إلى حكام الإيالة وقرأ تفاصيل في رسالة موجهة من شاهد عيان إلى أحد أصحاب الرتب في الدولة العثمانية، وتصفح كتباً مكتوبة في المشرق⁴².

⁴⁰ المصدر نفسه، ص 304.

⁴¹ الصغير بن يوسف، التكميل، المصدر السابق، ج 1، ص 322.

⁴² أحمد عبد السلام، 1993، ص 167.

ولا تقل النصوص التي أوردها الترجمان وكاتب الانشاء بالحضرة التونسية حسين خوجة في الكتاب الذي ترجمه من اللغة التركية إلى لغة الضاد وسماه **بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**، لا تقل أهمية عن النص الذي أورده ابن أبي دينار حول استيلاء سنان باشا على تونس وتركيز الإدارة العسكرية العثمانية بها. ويبدو أن هذا الكتاب هو **مرآة الأدوار ومراقبة الأخبار** للمؤلف مصلح الدين اللاري. واعتمد حسين خوجة - العارف باللغة التركية - في ترجمة الكتاب على مصادر تركية مثل كتاب **جهاننامه** لمؤلفه محمد حسين النشري المخلصي البورصلي. واعتمد لتتمته القسم الثاني من الكتاب - ابتداء من فترة حكم سليم الثاني - على مصادر أخرى مثل كتاب **الإعلام بأعلام بيت الحرام للنهرواني**، و**تاريخ نصرة الإيمان في دولة آل عثمان** للشيخ محمد البكري المصري وعلى كتاب **"صور همايون"** لمؤلفه حافظ محمد أفندي ألفه سنة 1720، وعلى تقييدات ووثائق رسمية تجعل من الكتاب وذيله مصدرا ذا مصداقية كبيرة فيما يتعلق بالمعلومات التي يعرضها حول التنظيم الإداري والعسكري للإيالة التونسية.

ولقد ترك لنا ابن أبي الدينار في مصنفه جملة من المعطيات حول بداية تركيز مؤسسات الإدارة وتنظيم العسكر العثماني في الإيالة التونسية الجديدة. فيقول "لما تمكّن حكمهم ودانت لهم البلاد اتخذوا اصطلاحا وأحدثوا أمورا غير ما كانت عليه أولا"⁴³. ويضيف بأن سنان باشا "ترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشورية وهي **الواحدة بعد المائة على ما هو متعارف بينهم والجاري على القوانين العثمانية ومن سلك طريقتهم...**"⁴⁴. وفي هذه الإشارة هو لا يتحدث عن العسكر العثماني برمته بل يذكر إحدى فرقته وهي **وجق الإنكشارية** الذي يتبع في النظام التركي للعسكر جيش الفرقة السادسة من المشاة، المتكونة أعلاه كما أشرنا من 101 طابورا. ونلاحظ أن ابن أبي دينار استعمل مصطلح "الدار" وهي الترجمة الصحيحة لكلمة "وجق" باللغة التركية، فعبارة "أوجاق الغرب" تعني ديار الغرب ويقصد بها طرابلس الغرب والجزائر وتونس. ويذكر ابن أبي الدينار أن كبير جند المشاة من وجق الإنكشارية هو "الداي" بقوله: "ولما جاءت الدولة التركية ظهر ما كان يحذرهم لأنهم مشاة على الأقدام وكبيرهم الذي يقال له **الداي** كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لأنه المتصرف بحكمه في الأقاليم"⁴⁵. ويمكن قراءة هذه الإشارة مع ما أورده ابن أبي الضياف فيما يخص الداي بقوله: "وأبقى دارا من الينجارية عددها أربعة ألف مقاتل، أكثرهم اختار المقام بالحاضرة التي أنقذوها بأرواحهم... وجعل على كل مائة منهم **أميرا يسمى الداي** لقب مشعر بالتعظيم في لغتهم"⁴⁶.

ولا تختلف المعطيات التي أوردها المؤرخ حسين خوجة والمتعلقة بالجهاز العسكري الذي خلفه سنان باشا، عما جاء في نص ابن أبي دينار. فقد ذكر في كتابه ذيل بشائر أهل الإيمان أن سنان باشا خلف "قبل عودته إلى جانب السلطنة العلية في مدينة تونس لمحافظة أربعة آلاف عسكري وهي دار معينة من ديار عسكر الينجارية بأغاثهم ومقدمي عسكرهم وانتخب منهم أربعين رجلا من صناديد الرجال الغزاة المجاهدين **يسمى كل منهم باسم داي** كناية عن أصحاب الشجاعة والخصال وقدم كل رجل من الأربعين على مائة من الأربعة آلاف عسكري لوقت الحاجة ومدافعة الأعداء"⁴⁷. وفي هذه الشهادة التي ينقلها مؤلف كتاب **الحلل السندسية** بعد أن ذاع صيت كتاب **البشائر**⁴⁸ يعيد حسين خوجة ذكر معلومة أن الداي هو الذي يتأصّل المئة إنكشاري، لكنه يقدم لنا معطى جديدا وهو عدد الدايات الذي يبلغ أربعين دايًا، كل واحد منهم يقود مئة إنكشاري بحيث يكون عدد الإنكشارية 4000 آلاف جندي ينقسمون على 40 طابورا أو 40 أورطه. كما يصف حسين خوجه الداي على أنه من أصحاب

⁴³ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301.

⁴⁴ المصدر نفسه، ص 199.

⁴⁵ المصدر نفسه، ص 301.

⁴⁶ أحمد ابن أبي الضياف، 2008، ج2، ص 26 - 27.

⁴⁷ حسين خوجة، د.ت، ص 88.

⁴⁸ الوزير السراج، 1985، ج2، ص 338.



"الشجاعة والخصال" وهذا يتطابق مع المصطلح التركي كباداي (Kabadayı) الذي يطلق على قدماء المحاربين الأقوياء المترأسين لفيالق الجيش العثماني.

إذا نلاحظ اجماع كل من ابن أبي دينار وحسين خوجة على أن الداي هو كبير المشاة الإنكشاريين ورئيسهم، وهو الذي يتأسس طابور المائة إنكشاري. وهذا يحيلنا على نفس الرتبة العسكرية التركية المعروفة باسم "دايات الإنكشارية" (yeniçeriler dayıları) أي رؤساء الأورطلر. وهنا نلاحظ أن رتبة الداي أو الدايات، كانت ضمن التراتبية العسكرية للجند الإنكشاري منذ سنة 1574 م، ولم تظهر بعد سنة 1591 كما ساد الاعتقاد، بل كان الدايات يمثلون الفئة العسكرية التي انقلبت على البلوكباشية، أي على كبار ضباط الإدارة العليا الممثلين لأولغارشية الديوان. ويذكر ابن أبي دينار أنه عند التحضير لخروج المحلة يكون أمر الداي نافذا ويكون هو المتصرف في جمع المحلة بعد وصولها للقصة حيث يقف الداي منتظرا ركب الآغ و الباي لتشييعهم إلى أخبية المحلة خارج المدينة، كما كان الداي يعين نائبا مكانه يخرج مع الباي في المحلة⁴⁹ ويرجع إلى مقر القصة.

لكن كان للداي أيضا وظيفة إدارية صلب ديوان الجند ذكرها الصغير بن يوسف في كتاب التكميل الشافي للخليل عند حديثه عن الجهاز العسكري الذي تركه سنان باشا قبل مغادرة نحو استانبول بقوله : " اعلم يرحمنا الله وإياك، أن سنان باشا وزير السلطان سليم، لما ملك تونس وخلف فيها من العسكر وهي دار من ديار مدينة اصطنبول التي فيها العساكر الينشرية وهم أربعة آلاف قدم عليهم الآغ المذكور، وجعل ديوانهم أربعين رجلا أصحاب شجاعة وعقل وتديبر وحكم العسكر في أيديهم يجلسون في الديوان المقدم الذكر لأجل من ظلم ومن ظلم فينفذون أحكامهم في الجميع كل يوم"⁵⁰. يفهم من هذه الإشارة التي أفادنا بها الصغير بن يوسف أنه إلى جانب المهمة العسكرية التي أوكلت للداي وهي قيادة المائة إنكشاري، يقوم الداي بالنظر في بعض القضايا التي استعصت على قضاة وخوجات الديوان ويصدر الحكم النهائي "لأجل من ظلم ومن ظلم"⁵¹. ويبدو أن هذه القضايا هي تلك التي وصفها ابن أبي دينار بالمسائل المعضلة بقوله: "إن كانت من الأمور الشرعية ردوها إلى الشرع وإن كانت قانونية فعلوا بأرائهم أو ما جرت له العادة بينهم وإن كانت مسألة معضلة أخروها إلى مشورة حاكم الوقت"⁵². والمقصود بحاكم الوقت هنا هو الداي.

ويذكر الصغير بن يوسف في كتاب التكميل الشافي للخليل إشارة مهمة تقدم لنا تركيبة الأربعة آلاف من كبار العسكر الذين قدموا مع سنان بطريقة مغايرة لم يذكر فيها اسم الداي بالمرّة. فقد قال أن "جميع العسكر مائتي دار والدار علامة على العشرين رجلا ومقدمهم الأوضباشي فإذا أرادوا السفر أعطى الحاكم الكبير (الداي) خباء من كتان فتدخل فيه تلك الجماعة ورئيسهم، ومن فوقه رايس آخر أكبر من الأوضباشي يقال له بلكباشي..."⁵³. عند مقابلة هذه الإشارة- التي أراد الصغير بن يوسف أن يوضح من خلالها وظيفة الأوضباشي - بالنصوص التي أوردتها كل من ابن أبي دينار وحسين خوجة والمتعلقة بالعسكر الإنكشاري الذي تركه سنان باشا قبل رجوعه فإننا نلاحظ أن الاخباريين يتحدثون عن نفس الهيكل لكن كل بطريقة مختلفة. والسؤال المطروح هنا هل يمكن أن يكون الداي الذي ذكر ابن أبي دينار أنه قائد 100 إنكشاري هو نفسه قائد 5 من الأوضباشية ؟ قد يكون ذلك صحيحا لأنه إذا حسبنا أربعين دايا على المائة فإننا نجد المجموع أربعة آلاف جندي، وإن اعتبرنا أن العسكر يتكوّن من مائتي دار وكل دار تتكوّن من عشرين رجلا فإن المجموع ينتهي أيضا إلى أربعة آلاف عسكري. وبما أن الهيكل الإداري لكبار ضباط الديوان يعتمد نظام الترقّي فإن أصحاب المصادر التاريخية تارة يحدّثوننا على التراتبية من منظور تربة الداي

⁴⁹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 303.

⁵⁰ الصغير بن يوسف، 2023، ج 1، ص 325.

⁵¹ نفس المصدر، ج 1، ص 325.

⁵² ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 302.

⁵³ الصغير بن يوسف، 2023، ج 1، ص 321.



المتحكم في المائة الذي شغل في السابق رتبة أقل منها (ابن أبي دينار، حسين خوجة)، وتارة أخرى من منظور الأوضاشي المتحكم في العشرين رجلا الممثلين للمائتي دار والذي سيصبح فيما بعد بلوكباشيا ثم إيه باشيا ثم آغة الكرسي أو دايا (الصغير بن يوسف).

أما فيما يخص أحوال الرعية فقد قام الأتراك بتركيز مقر للبasha العثماني بالإيالة، وهذا الباشا يرجع له النظر في تسيير الإيالة ليتصرف في "أحكام البلد" على حد قول صاحب كتاب المؤنس. ومقر الباشا هي دار الخلافة أو دار الباشا: "وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها وهي المعبر عنها بدار الباشا... والمتصرف في أحكام البلد باشا الوقت ونظر العسكر إلى آغتهم"⁵⁴. وحسب الصغير بن يوسف فإن دار الخلافة هي إحدى الدور الفاخرة التي كانت على ملك السلاطين أو كبار أعيان الدولة الحفصية: "وولاه السلطان سليم باشا بتونس وحين وصل أخذوا له دارا من دور الحفصة وسكن فيها وتولى حكم البلاد وهو الناظر الكبير على الأمراء والقياد وأصحاب المجابا فيدفعونها للباشة والباشا يعطيها في رواتب العساكر، وأمور أهل البلد كلها بيده"⁵⁵. ويذكر لنا ابن أبي الضياف أن أول باشا عين على ولاية تونس هو حيدر باشا الذي كان قبل سنة 1574 مستقرا في سنجق القيروان أول سنجق عثماني بالإيالة بقوله: "وجعل نظر العسكر إلى الآغه بالديوان والتصرف في فصل القضايا إلى القاضي، ووراء الجميع نظر الباشا وهو صاحب القيروان حيدر باشا"⁵⁶.

– الداى أو "الكاباداي" عند الأتراك

يكتب لفظ داى بالعصمنية بياء زائدة ودون تعريف بالألف واللام "داي" وبتعريبه سقطت الياء الزائدة وأضيف لها التعريف بالألف واللام ليصبح الداى. ولقد تواصل استعمال تسمية داى من قبل العثمانيين إلى حدود القرن التاسع عشر، فقد أطلقوا على حراس وضباط مدينة اسطنبول اسم داى. وبعيدا عن تسمية الخال بـ"داي"، فإن لمصطلح داى مفهوما عسكريا؛ فـ"الداي" (Dayi) أو "كاباداي" (Kabadayi) عندهم، هو اسم صفة يمكن ترجمته للعربية بصفة "الشجاع" أو "الباسل المقدم" وهي صفة ضاربة في القدم كانت متداولة لدى قبائل الإمارات العثمانية في الأناضول كلقب تشريفي للشجعان من العساكر. وبالانفتاح على البحر والتوسع انتقلت هذه الصفة لتمييز الشجعان من القراصنة المجاهدين في سبيل الله لحساب الدولة العثمانية الإسلامية والذين أثبتوا مهاراتهم القتالية وخصالهم الحربية في المعارك البحرية ضد القراصنة الكاثوليك، والذين اكتسبوا أيضا معرفة كبيرة بالثغور البحرية والإبحار وبالتقنيات الحربية لأساطيل الإسبان والأنجليز والفلمنك⁵⁷. وبما أن البحر كان الحلقة الواصلة بين السلطنة العثمانية وإيالات أوجاق الغرب فإن الـ "داي" أو الداى هو من انفرد تدريجيا بالصعود لسدة الحكم بعدما فشل البكربايات أو الباشاوات في الاندماج وعاشوا صعوبات الانتقال بنظام الحكم من المملكة الحفصية إلى النموذج الإداري العثماني. فالداي كان الحلقة الوسطى بين حكم الباشاوات والبايات وهي الحلقة التي ستحدر تدريجيا لحساب الباى الذي سيتمكن من خلق التوائم والتلائم بين المنظومة العثمانية التركية "الأجنبية" والمنظومة المحلية لتعود البلاد لنظام حكم العائلات الملكية المحلية ويتأسس حكم العائلتين المرادية والحسينية.

⁵⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 200.

⁵⁵ الصغير بن يوسف، 2023، ج1، ص 323.

⁵⁶ ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص 27.

⁵⁷ إلهان أيفاردي، 1994، مجلد التاسع، ص 59 - 60.



5.1. سطوة طائفتي البولوكباشية والأودة باشية وانقلاب دايات الإنكشارية سنة 1591 صلب الديوان

1.5.1. أسباب الانقلاب في نظر الإخباريين

هل يجدر بنا أن نطلق على هذا الانقلاب العسكري الذي كان في صالح الدايات اسم "ثورة البولوكباشية"؟ يبدو أن ارتباط اسم البولوكباشية في الدراسات التاريخية بهذا الانقلاب الذي جدّ في صلب مؤسسة الديوان يعود إلى المصطلح الوحيد الذي أورده ابن أبي دينار في سياق كلامه السردى حول هذه الحادثة "جماعة البولوكباشية". ولكي لا نحمل صاحب كتاب المؤنس ما لا يتحمله - فقد ذكر المؤلف كل التفاصيل إما بطريقة مباشرة أو بطريقة عرضية - يمكن القول أن ابن أبي دينار بدأ نصّه بإبراز الجانب المتضرر في هذه الحادثة وهم "جماعة البولوكباشية" وبين سبب الضرر الذي لحق بهم لجورهم وظلمهم ومعاملتهم السيئة للجند الإنكشاري "وجلّوا اصطلاحا على عادة أهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعة البولوكباشية ولكن ساروا في أحكامهم بعنف على من دونهم في العسكر ووقع الجور حتى أن الواحد من البولوكباشية إذا كان عنده صبيان وهم المعبر عنهم بالعزيرية تكون له حرمة وافرّة وربما مد يده في البيولداش⁵⁸ وما عسى من دونه"⁵⁹. ولا شك أيضا أن هذه الحادثة كانت نتيجة الأزمة المالية التي نتج عنها عجز الخزينة عن دفع مرتبات الجند والتي ارتبطت برمزية الصلاح المتمثلة في حادثة رؤوس الأكباش التي اشتراها الشيخ القشاش بعد أن طلب منه ديوان الجند "مالا ليستعينوا به على مرتباتهم"⁶⁰. ويمكن لنا أن نستشعر هذه الأزمة في المراسلات التي وجهها بكربكي ولاية تونس إلى الباب العالي سنة 987 هـ / 1579 م، فقد أبلغ فيها عجزه على تسديد مرتبات أفراد الجند والتراجع الملحوظ في حفظ وحراسة البلاد نتيجة التوزيع الغير قانوني والاعتباطي لقرى الميري والأراضي الخاصة بالإيالة في شكل تيمارات وزعامات من قبل كبار ضباط الإنكشارية⁶¹.

لقد كانت صولة الطائفة العسكرية من كبار ضباط الديوان والعسكر العثماني السبب الرئيسي في حصول انقلاب 1591 م، فعلاوة على سوء معاملتهم للجنود الأقل رتبة منهم، تذكر المصادر العثمانية أنهم فرضوا زيادات في مرتباتهم عند تغيير كلّ بكرباي يعين على رأس الإيالة، هذه الزيادات والترقيات كانت تمنح لهم رغم عجز خزينة الدولة على تسديدها، ما أثار غضب الأهالي وفقراء الإيالة الذين تقدموا لأكثر من مرة - وآخرها سنة 1588 - بعريضة للباب العالي يتذمرون فيها من الترقيات والزيادات التي تمنح لطائفة العسكر ويستنكرون فيها الظلم والتعدي الممارس على الرعايا من قبل الولاة والقواد لتغطية هذه النفقات الزائدة والتي دفعت بعض الرعايا لترك ديارهم وهجر الولاية⁶². وكثرت التشنجات المرفوعة إلى الباب العالي من تسلط آغة الإنكشارية بإيالة تونس، فقد اشتكى إلياس بكرباي طرابلس الغرب سنة 1584 م، من تصرف آغة إنكشارية العسكر التونسي في المقاطعات التابعة إداريا لمجال إيالته، طالبا منعه ومنع المائة وخمسين جنديا من جنوده من جمع محصول هذه المناطق ومناشدا الباب العالي بإصدار حكم شريف يرجع به التصرف في هذه المناطق تحت إمرة قواد بكرباي طرابلس الغرب⁶³. كما تقدم القائد صفر للباب العالي بشكاوى ضد آغة إنكشارية جند تونس بدعوى افتكاك الآغة لمنزله وامتلاكها جبرا وامتناعه من اخلائها والخروج منها⁶⁴.

تذكر إحدى وثائق المهمة دفتری المؤرخة بسنة 1579 م، أن طائفة أفراد العسكر بإيالة تونس استحدثوا أوضاعا مغايرة للقانون وبدعا مخالفة كعدم تسليمهم موارد بيت المال لخزينة الميري واقتسام الأموال بينهم،

⁵⁸ البيولداش (Yoldaş) : اسم يطلق على الإنكشارية فيما بينهم.

⁵⁹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 200 - 201.

⁶⁰ المصدر نفسه، ص 201.

⁶¹ بيات، المرجع السابق، ص 66.

⁶² المرجع نفسه، ص 240.

⁶³ المرجع نفسه، ص 116.

⁶⁴ المرجع نفسه، ص 155.



وتشغيلهم للأطفال الصغار غير القادرين على الخدمة العسكرية وتخصيص مرتبات لهم وجعلوا من بينهم حرسا خاصا يعرف بالـ "صولاق"⁶⁵. وتناهى لأسماع السلطنة العلية أن هذه الطائفة من العسكر أخذوا الخدم وجعلوهم في رتبة رؤساء البلوك باشي، ونصبوا من يريدون آغة بمرتب أربعين آقجة، ودون أن يمر وقت طويل يستبدلونه بآغه غيره، كما استمعوا للمشتكين من الأهالي بأنفسهم عوض القاضي وردوا عليهم حسب أهوائهم مخالفين أحكام الشرع. وتدخلوا لتعيين آغة الإنكشارية ورفعوا من مرتب فرسان البلوك باشية من 5 آقجة إلى 15 وبلوك المشاة من 3 آقجة إلى 20 آقجة، واكتسبوا القوة والاعتبار وأصبحوا لا يستمعون لكلمة البكربكي وظلموا الرعايا. وتذكر نفس الوثيقة أنه لحل هذه الأزمة المتمثلة في سطوة كبار ضباط ديوان جند الإنكشارية أصدر الديوان الهمايوني أمرا يقتضي باستبدال آغة الديوان بآغة جديد يدعى حسين آغه تم اختياره من بين أعيان السلطنة العلية⁶⁶. وفي وثيقة أخرى من وثائق المهمة دفترية والمرسلة إلى بكربكي تونس وآغة الإنكشارية سنة 1587 م، تم ابلاغ السلطنة العلية بمجموعة كبيرة من المفسدين من طائفة البلوكباشية والأودة باشية الذين قاموا بإثارة الاضطرابات وتحريض الأشرقياء للتدخل في الشؤون الخاصة بالبكرباي والقضاة ووكلاء الخرج، وتسببوا في هدر مال الميري ولا يكفلوا حق الفقراء ويثيروا الفساد والظلم، ما جعل الباب العالي يعجل بإرسال مكتوب لبكرباي تونس يطلب منه التنبيه على جماعة البلوكباشية والأودة باشية بعدم التدخل في الشؤون الخاصة بالولاة والقضاة ووكلاء الخرج صلب الديوان وعدم التعدي على صغار الجند والفقراء من الأهالي⁶⁷. كما قام الباب العالي بتحذير بكرباي تونس بحكم أرسل سنة 1588 م، يعلمه بوجود فئة من أصحاب التيمار والزعمات الغير مؤهلين للقتال في طائفة الجند والذين ليست لديهم القدرة على استخدام السيف وركوب الخيل. وقد أمر الباب العالي بعدم منحهم التيمار والمرتبات "العلوفة" واستبدالهم بمن يتمكنون من القتال ومن لهم دراية بشؤون الحرب⁶⁸.

إذا وقفا على هذه المعطيات التي تذكرها المراسلات بين كل من الباب العالي وبكرباي تونس، نستنتج أن قبل سنة 1591 بقليل تغوّلت فئة البلوكباشية والأودة باشية وتجاوزوا حدودهم الادارية التي أوكلت إليهم وأصبحوا عامل خطر على شخص البكرباي الذي ضعف مقامه وعلى القضاة وعلى وكلاء الخرج وعلى صغار الجند الإنكشاري برمته. وهكذا يمكن لنا أن نفهم الظرفية التي شجعت الجند الإنكشاري بقيادة داياتهم رؤساء المائة وواحد طابورا للتخطيط للتخلص من البلوكباشية والأودة باشية في يوم جمعة من سنة 1591 م. وفي نفس السياق يجب التذكير أيضا بعصيان سنة 1589 بمركز الخلافة بإستانبول الذي قام جراء نزول قيمة العملة العثمانية "الأقجة" إلى أدنى مستوياتها. وتعرف هذه الحادثة بـ "واقعة البكربكيري" (*Beylerbeyi vakası*) ذلك العصيان الذي ثار فيه كبار عساكر الإنكشارية وحاصروا فيه قصر السلطان مراد الثالث (1574 - 1595)، وأظهروا تجاوزات وصلت إلى حد إحراق كامل المدينة⁶⁹. وهذه الحادثة أثرت تأثيرا مباشرا على تصرف كبار العسكر بإيالة تونس الذين بالغوا في اظهار التهور والجور والظلم والتعدي وسريان النفوذ في صفوف الرعية.

يوصل ابن أبي دينار سرده للحادثة دون تحديده لاسم الفئة التي قامت على ضباط البلوكباشية واقتصر على ذكر عبارة "نفوس العسكر" فيقول: "فسميت نفوس العسكر وأضمرؤا لهم الشر وتعاقدوا بينهم على الفتك

⁶⁵ في الدولة العثمانية هو فريق من الجند الأشول، أي يساريي الرمي بالسهم، وهم من الحرس الخاص ويعرفون باسم "صولاك أورطلي" باللغة التركية. يخرجون في الحرب رفقة السلطان العثماني، وتنحدر تسميتهم من كلمة صولاك "*Solak*" تعني الأشول. ويتم تثبيتهم يسار السلطان لكي لا يديرون ظهورهم أمام وجهه عند رمي السهام. ولهذا الحرس الخاص وجق وقائد ينظمهم يسمى صولاك باشي (*Solak başı*). وكانت هذه الفرقة موجودة أيضا في تراتبية الجند الإنكشاري بإيالة تونس وكان عددهم 8 صولاك، يجلسون في دار الباشا وهم من كبار الأوضباشية ومن يترقى منهم يصبح بلوكباشي. انظر الصغير بن يوسف، التكميل الشافي للغليل، المصدر السابق، ج1، ص 324.

⁶⁶ بيات، المرجع السابق، ص 232 - 234.

⁶⁷ بيات، المرجع السابق، ص 238 - 239.

⁶⁸ المرجع نفسه، ص 245.

⁶⁹ أوزدان مصطفى، 1996، ص 36.



بهم في يوم معلوم وهو يوم الجمعة، وكان وكيل الخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب إلى اليوم فساعدتهم على ما أرادوه ووعدهم أنه لا يحضر ذلك اليوم ليكون البيت الذي فيه سلاح مغلقا بحيث لا يجدون سلاحا يذبون به عن أنفسهم. فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه واجتمع أهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيف فيمن وجدوه هناك ولم يمنع إلا من لم يحضر ذلك اليوم وتتبعوهم في منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به ولم ينج إلا من فر بنفسه وكانت هذه الواقعة آخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة⁷⁰.

لم يذكر الكاتب إلا اسما واحدا وهو اسم رجب طبال الذي كان يشغل رتبة وكيل الخرج بإدارة ديوان الجند بالإيالة. وإلى جانب مهمة النظر في شؤون الترسانة الحربية البحرية، كان وكيل الخرج مسؤولا على بيت العدة أو السلاح بالديوان، وقد تعتمد التغيب يوم الحادثة تواطئا مع العسكر. ويجب أن نذكر هنا أن وكيل الخرج في "الأغ كاسي" بإستانبول هي رتبة عسكرية تشمل أحد ضباط الديوان الذي ينتمي إلى المجموعة الثالثة من قواد البلوكلر والمشهورة بصفة "الأغوات التشرجية ذوي الشوارب القوية التي لا يقطعها السيف"⁷¹. ولكي نفهم انحياز وكيل الخرج طبال رجب لجند الإنكشارية علينا أن نذكر بما سبق وأشارنا إليه في الوثيقة التي أرسلت من الباب العالي والتي أمر فيها السلطان بكرباي تونس بالتنبيه على الإنكشارية ومنعهم التدخل في شؤون القضاة ووكلاء الخرج بالديوان. وهنا يظهر جليا انتقام وكيل الخرج رجب طبال الذي كان متضررا من جماعة البلوكباشية والأوده باشية وفسحه المجال لقتلهم بالتغيب عن الديوان وغلق مخزن السلاح.

ويكمل ابن أبي دينار استرسال الأحداث لكن هذه المرة بذكر اسم الفئة التي قامت بقتل البلوكباشية وهم الدايات فيقول: "ولما فعلوا فعلتهم تحزبوا أحزابا وصار كل حزب منهم له رئيس فاجتمعت عدة رؤساء وصار كل رئيس يدعي باسم الداى وهذه اللفظة معناها خال باللسان العربي وهي عندهم تكبرة بمن ينادي بها وصارت جماعتهم تقرب من ثلاثمائة رجل وإذا حل بهم أمر تجمعوا في القصة وتشاوروا بينهم إلى أن اتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم أمر من كثرة داياتهم. وكان أكبرهم إذاك ابراهيم داي اشتهر بينهم بشجاعته وكثرة جماعته...".

نلاحظ في هذا المقتطف الأخير أن الداى الذي كان يتأسس طابور 101 من جند الإنكشارية تمت تزكيته وأخذ الخطوة ليحل مكانه سياسية وإدارية في صلب الديوان، فقد كان منذ البداية صاحب حضور معنوي قوي يغلب عليه الطابع العسكري. ويفهم من هذا المقتطف أن للداى المستقر بالقصة والذي وصفه ابن أبي دينار أنه بمنزلة السلطان في الحقيقة يدا خفية في الاطاحة بضباط البلوكباشية وأنه هو الذي كان يحرك عسكر الإنكشارية من وراء الستار. فقد أحس هؤلاء بالظلم والإهانة من تصرفات كبار ضباط الديوان في ظرفية زمنية تميزت بأزمة مالية حادة وبداية صراع بين كبار قادة العسكر وبالتحديد بين داي القصة وآغة الإنكشارية وجماعة البلوكباشية بالديوان. وأما عن حسين خوجه فقد أشار في حديثه على أن الدايات كانوا على اتفاق مع الإنكشاريين وأنه بعد تصفية كبار ضباط الديوان انتخبوا دايا من الأربعين بقوله: "وعقدوا ديوانا باتفاق من عسكرها أن يقدموا من ينظر في أمرهم واحدا من الدايات الأربعين المتقدم ذكرهم ولا يتصرف أهل الديوان في عسكري يولداش إلا بمشورة المقدم"⁷². ولم يجد الصغير بن يوسف عن بقية المصادر عند ابداء رأيه حول سبب ثورة البلوكباشية، فقد أرجع السبب الرئيسي لتغول البلوكباشية وكثرة الشكاوى في شأن تصرفاتهم العنيفة تجاه اليولداشية: "وحيث ثبت عرق بلكباشية في مدينة تونس، تزوجوا من بنات أهل تونس وناسبوهم واستحرموا بأنسابهم وصار كل من ناسب بلكباشي صارت له ولولده شوكة وحرمة، والظلم تحت جناح الباعوضة فكثرت ظلم أولاد الأنساب غيرهم وكثرت الشكاوى في الديوان ويتعصبون

⁷⁰ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 200 - 201.

⁷¹ كوتشو، المرجع السابق، ص 89.

⁷² خوجه، المصدر السابق، ص 89.



لبعضهم بعضا ويزحزون المظلوم من غير أخذ حق في نسيب بلكباشي...ولما طال الحال شبت أبناء البلكباشية في الحرم والدلال وظلموا الناس وكذلك صبيانهم المسمون بالعزارة، وتخطى ظلم الأولاد والعزارة إلى أن مدّوا أيديهم في العسكر⁷³.

2.5.1. الداى بعد سنة 1591 م: دولاتلي الديوان

وبعد سنة 1591 لم تبق هذه التراتبية قائمة وحتى الأوامر التي كانت تؤخذ من آغة إستانبول أبطل الأخذ بها، وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي دينار الآتي: "ثم انخرمت هذه القاعدة فصار يلي هذه الرتبة أكبرهم ولم يحتاجوا إلى أمر سلطاني"⁷⁴. وعوض الآغة أصبح هناك "الدولاتلي" هو من يتحكم في قرارات الديوان "إلى أن كان من أمرهم ما تقدم عند ذكر مقتل البلوك باشية وتولية الحاكم الدولاتلي فصار غالب النظر في الأحكام له إلا ما قل"⁷⁵. وحسب الصغير بن يوسف فإنه على إثر هذا التظلم والسطوة "تحرّب العسكر أحزابا وكل حزب له رئيس سموه داى ومعنى الداى خالي كأنها عندهم تربية برئيسهم... واتفقوا على أن يؤلّوا رجلا واحدا تركي عجمي ليس له زوجة ولا ولد يسكن في القصبة"⁷⁶. وهذا الرجل هو الدولاتلي، والدولاتلي هي كلمة من أصل تركي وهي رتبة عسكرية تعطي لسردار العسكر أي كبير الإنكشارية، وهذه الرتبة العسكرية تتوافق مع رتبة الداى الذي كان مسؤولا على المائة إنكشاري. فهل أن الدولاتلي هو نفسه الداى؟

يُعلمنا الصغير بن يوسف في كتاب التكميل الشافي للخليل ولأول مرة أن الداى هو نفسه الدولاتلي ويقول أن الرتبة الإدارية / السياسية استمرت لزمته فيستهل كلامه بـ "الخبر عن سبب تولية الداى وهو الدولاتلي في دولة الترك بمدينة تونس ومن يتولى من الدولاتلية إلى سنتنا هذه وهي سنة 1181 هـ / 1767 م"⁷⁷، ويدمج الصغير بن يوسف هذا الخبر في سياق حديثه عن دار الانكشارية التي تركها سنان باشا قبل مغادرته، وتركيز أربعة آلاف عسكري بأغة انكشاريتهم، وتركيز أربعين رجلا من أصحاب الشجاعة والعقل والتدبير قائلا أن حكم العسكر بأيديهم وأنهم يجلسون في الديوان". وهذه الإشارة مهمة جدا، فالإشارات السابقة التي يقدمها كل من ابن أبي دينار وحسين خوجة لا تذكر أن للدايات (الأربعون رجلا) مهمة إدارية ولا تذكر البتة أنهم يجلسون في الديوان، واقتصرت فقط على ذكر دورهم العسكري بأنهم يقودون دارا تتكون من 100 إنكشاري. هذا ما جعل المؤرخين يستبعدون وجود رتبة "الداى" ضمن تراتبية كبار ضباط ديوان الجند. والآن يمكن لنا أن نفهم جليا أن الدايات كانوا يشكلون جماعة من جماعات كبار العسكر في صلب الديوان وقاموا بالانقلاب على البلوكباشية، الجماعة الذين يمثلون الشق السياسي للحكم العثماني بالإيالة. ولا شك أن الدايات انتقلوا بعد سنة 1591 من الرتبة العسكرية إلى الرتبة السياسية في إدارة الديوان مبتكرين في ذلك تسمية جديدة في علاقة بلقبهم العسكري القديم الداى وهو اللقب الجديد "الدولاتلي". ويفيدنا الصغير بن يوسف أن الدولاتلي لا يكون إلا من الأتراك الأعجام وأن للدولاتلي جماعة تحته تعرف بالإختيار (*Ihtiyar*) أي كبار المساعدين وهم المئة إنكشاري الذين ترقوا في المناصب و"خدموا منصب الشواش ووكيل الخرج ويمكن للاختيار أن يترقى لمنصب الدولاتلي حسب إشارة الصغير بن يوسف"⁷⁸.

إذا يبدو لنا من خلال تحليل النصوص المصدرية والوثائق العثمانية، أنه لا يمكن فهم واقعة سنة 1591 إلا بالبحث عن محركها الأصلي المتمثل في شخصية "الداى"، الذي سيسترجع مكانته العسكرية الأولى بتحويلها لرتبة سياسية صلب الديوان، فقد كان منذ البداية من أصحاب النفوذ "ولما جاءت الدولة التركية ظهر ما كان يحذرهم لأنهم

⁷³ الصغير بن يوسف، 2023، المصدر السابق، ج 1، ص 325.

⁷⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301.

⁷⁵ المصدر نفسه، ص 302.

⁷⁶ نفس المصدر، ج 1، ص 328.

⁷⁷ الصغير بن يوسف، 2023، المصدر السابق، ج 1، ص 325.

⁷⁸ المصدر نفسه، ج 1، ص 323.



مشاة على الأقدام وكبيرهم الذي يقال له الداى لأنه المتصرف بحكمه في الاقليم فصحت الأخبار التي أخبر بها⁷⁹، ثم انفلتت الأمور من يده بعد تغول كبار ضباط العسكر (الآغة والبلوكباشية والأوده باشية)، وبدا له خوف من فقدان مرتبته العسكرية وكلمته النافذة في ديوان الجند فما كان له إلا تشجيع الجند الانكشاري على المطالبة بمرتباتهم التي استعصى على الديوان تسديدها، كما يبدو أنه حرصهم على عدم السكوت على التصرفات المهمة الصادرة من ضباط جماعة البلوكباشية ومساعدتهم العزيرة⁸⁰. فكان التخطيط لاغتيالهم وإحداث لقب الدولاتلي الذي يجمع بين التسمية أو الوظيفة العسكرية القديمة للداى، والتسمية أو الوظيفة الإدارية / السياسية الجديدة هي الدولاتلي.

وفي ظل وجود هذه النصوص وتصريح المصادر التاريخية بتركيز العثمانيين لإدارتهم العسكرية بإيالة تونس فإنه من الغريب أن نقرأ في بعض الدراسات السابقة "أن نظام الإنكشارية المعمول به في اسطنبول والمكون من الأعجمي أوغلان والسكمن والجماعات والبلوك فإنه لم ينتقل إلينا وذلك لأن السكمن لا يتوزعون إلا على 34 بيتا والبلوك تجمعهم 61 بيتا. وعليه فإن البيت المشار إليها لا تكون إلا البيت الأخيرة من بيوت الجماعات التي تضم 101⁸¹. ولكن المعمول به في النظام الداخلي للوجج الإنكشاري، هو صنف الجماعات أو "الجماعاتلي لر" والذي يتكون من 101 طابورا، وهو الصنف الذي يتم إرساله إلى قلاع الإيالات المفتوحة لضبطها. وقد ركز الديوان الهمايوني صورة منه بإيالة تونس يترأسها الداى. كما أن عدم انتقال بيت السكبان والبلوك الخاص بهم لا يعني أن نظام الإنكشارية العثمانية المعمول به في السلطنة العلية لم ينتقل إلينا، فبالعكس كانت التراتبية العسكرية للجند العثماني بإيالة تونس وتراتبية كبار ضباط الديوان والبلوكباشي هي نفسها التراتبية التي توجد بالباب العالي. إلا أن تعيين آغة الإنكشارية أو الداى أو البكركبي أو الباشا لإيالة تونس يكون باختيار أحد قدماء ضباط السكبان أو زغرجي السلطان أو جربجي باشي أو باشا ينحدر من الحاشية القصر أو من فرق الأورطلر الخاصة بحاشية السلطان.

2. الديوان وعلاقة الجند الانكشاري بالتصوف البكتاشي

1.2. التصوف البكتاشي المبكر في الأناضول وعلاقته بالجند الانكشاري العثماني

لقد ظهرت الطريقة البكتاشية المنسوبة للولي الحاجي بكتاش في سهوب الأناضول وتحديدا في مدينة نافشهير التركية، وهي فرقة متفرعة من الطريقة القلندرية التي كان مقرها في سهول آسيا الوسطى وانتقل دراويشها المعروفين باسم "أبدال الروم" (*Rum abdalları*) إلى الأناضول هروبا من الغزو المغولي. واستطاعت هذه المجموعات المتصوفة وذات الميولات العلوية الشيعية تكوين تشكيلة مركزية منظمة حول زاوية الحاجي بكتاش⁸². ولم تكن زاوية الحاجي بكتاش لوحدها في المشهد الأناضولي فقد كان التركمان الذين وجدوا روابط مع نظام الشاه إسماعيل الصفوي بإيران في نهاية القرن 15 م، من بين التجمعات التركمانية التي تم استهدافها من قبل السلطنة العثمانية بتعلة توأمتها مع النظام الشيعي بإيران. وقد سعى العثمانيون لمحاولة استئصال هذا الوجود العلوي بالأناضول لذا قامت هذه التجمعات التركمانية العلوية بحركات انتفاضية، نذكر من بينها انتفاضة شاه كولو في أنطاليا، وانتفاضة القلندر شلبي سليل الحاجي بكتاش في الأناضول وانتفاضة الشيخ صقاريا بقيادة الشيخ أحمد المعروف بالمهدي شيخ صقاريا وهو من تربية بكتاشية. وعُرفت بعض الفرق العلوية في الأناضول بلقب "قيزيل باش" لارتدائهم القبة الحمراء ذات الاثني عشر خرقة دلالة على الأئمة الاثني عشر. وكانت بداية الضغوط على هذه التجمعات الصوفية المتشعبة في عهد بايزيد الثاني (1481 - 1512) الذي نجح على ما يبدو في فصل بعض من طائفة البكتاشيين عن التشيع واستمالتهم وذلك

⁷⁹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 301.

⁸⁰ الصغبر بن يوسف، 2023، المصدر السابق، ج1، ص 328.

⁸¹ البشروش (توفيق)، 1992، ص 45.

⁸² انظر مقال توشدي (رودولف)، "بكتاشية"، بالفرنسية، في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الجديدة، بريل، باريس، 1991، ج1، ص 1196 - 1197.



بتقريبهم ومنحهم الدعم واقحامهم في المدارس السنية. وعندما قوي عود النظام العثماني انقلب العثمانيون على أغلب هذه الطوائف انسجاما مع الأيديولوجيا السنية وتم ادماجهم شيئا فشيئا في الجيش والإدارة العثمانية بعد محاربة الصفويين واخراجهم من المجال التراي لجغرافية الإمبراطورية العثمانية⁸³.

أما عن شيوخ الطريقة البكتاشية المشهورين فيمكن ذكر مؤسسها الحاجي بكتاش ولي من كبار أولياء ديار الروم وهو من الذين أخذوا عن الحاج المتصوف أحمد اليسوي (ت 1166 م). وأبدال موسى الذي يعتبر من أول المساندين للطريقة البكتاشية والذي كان له الفضل في نشر فلسفة التصوف البكتاشي في زوايا غرب الأناضول، كما قام أيضا بجمع وتنظيم زمرة التائبين المحبين كمتطوعين وكمشاركين مع فرق البابائية في حركات العصيان ضدّ دولة السلاجقة. وتعتبر مشيخة أبدال موسى هي المرحلة الأولى من تركيز أسس التصوف البكتاشي. أما في زمن مشيخة بالم سلطان، نهاية القرن 15 وبداية القرن 16م، فقد انسلخت الطريقة البكتاشية عن القلندرية وأصبحت تدير شؤون زاويتها باستقلالية تامة.



الصورة 12: رسم بألوان نباتية للحاجي بكتاش ولي، ق 15م، متحف نوفشهير.

ويوجد في صلب تركيبة الجهاز العسكري العثماني فئة من الجند الانكشاري، تُعرف باسم "الإنكشارية البكتاشية" (Bektaşilik). وهؤلاء هم فئة الجنود المحبين الصادقين لشيوخ الزاوية البكتاشية والذين تلقوا آداب الطريقة وعلوم التربية الاسلامية وذلك منذ التحاقهم بوجع الجنود الإنكشارية (عجمي أوغلري) عن طريق نظام التجنيد الذي يعرف باسم "الدفشيرما". وقد كانت الزاويا وخاصة زاوية الحاجي بكتاش هي التي احتضنتهم وأمنت لهم تربية معنوية وإحاطة كاملة ولقنتهم أصول وعلم الكلام والأدب والخلق.

وتنسب الروايات التاريخية نشأة أول نواة لزمرة الإنكشارية العثمانية على يد هذا الولي الذي توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي. وقد أجمعت كتب التاريخ العثماني على أن زاويته تمثل النقطة الأولى التي احتضنت أولاد العسكر العثماني ومهدت لتكوين شخصيتهم ولتربيتهم المعنوية وأن "البابا" الحاجي بكتاش يعتبر الأب الروحي لزمرة الإنكشارية والمحبين من مريدي الطريقة. وتقول الرواية الشفوية أيضا إن السلطان أورخان (1326 - 1359) توجه إلى مدينة "نافشهير" وتحديدًا إلى مقر إقامة الولي الحاجي بكتاش الذي انتسب الجيش الانكشاري إلى طريقته، وعند حلوله بالزاوية استبشر الولي الحاجي بكتاش لزيارته وعندها طلب منه السلطان أورخان أن يعطي اسما لجيشه تبركا به فسماه انكشارية، وقد احتفظت الذاكرة بهذا الدعاء إلى يوم الناس هذا، وهو كالآتي: "سيكون اسم هذه المؤسسة إنكشارية، وجوهمم بيضاء وناصعة، وقواهم مذهلة وخارقة، وسيوفهم قاطعة، سهامهم هالكة،

⁸³ نور الدين (محمد)، 2001، "الانتفاضات العلوية في الأناضول في القرن السادس عشر"، في الأقليات والقوميّات في السلطنة العثمانية بعد سنة 1516، أعمال المؤتمر الذي نظّمه قسم التاريخ في الجامعة اللبنانية في 28، 29 و30 نيسان 1999، لبنان، ص 112 - 131.



منتصرون في كل المعارك وعائدون بالنصر دائما⁸⁴. كما ينتسب للحاجي بكتاش أنه أول من ألبس الإنكشارية العثمانيين الطاقية البيضاء التي توضع على الرأس وأنه كان يطهي الشربة في القدر الشريف "القازان الشريف" لإطعامهم⁸⁵.

لكن هذه الرواية الشفوية لا يمكن التسليم بها وتصديقها فهي من ضمن الخرافات التي تكونت حول شخصية الحاجي بكتاش. كما أنه من غير الممكن أن يقوم الحاجي بكتاش الذي توفي سنة 1271 بالدعاء لجموع الجند الذي تكون في سنوات حكم السلطان أورخان غازي (1324 - 1364 م) ولا يمكن التسليم بأن الحاجي بكتاش هو من قام بتسمية هذا الجند باسم الإنكشارية فلا توجد ولو إشارة بسيطة حول هذا الحدث الكبير في مناقبه. كما أن المؤرخ عاشق باشا زاده، الذي كتب كتابه الموسوم بتواريخ آل عثمان في فترة قريبة جدا من الأحداث، يقول أن هذا اللقاء تم بين السلطان وأحد دراويش الحاجي بكتاش وهو الذي كان شيخا على الزاوية واسمه "أبدال موسى"، الذي شارك في حروب توسع الإمارة العثمانية في الأناضول، والذي وُقِّر للجيش الإنكشاري في إحدى حروب عند المرور بالزاوية عمّامات لتغطية رؤوسهم⁸⁶. وحسب قوانين الإنكشارية فإن الولي الحاجي بكتاش توفي قبل تأسيس العسكر العثماني، وأن ارتداء الجنود الإنكشاريين للقبعة العثمانية هو من تأثير شيوخ الطريقة البكتاشية كتيّمور تاش دادا ابن الحاجي بكتاش ولي وأمير شاه أفندي.

أبدال موسى (Abdal musa) اسم الدراويش- المحارب الذي شارك إلى جانب المشاة العثمانيين في حروب الإمارة العثمانية، كان له دور كبير في نشر تقاليد التصوف البكتاشي بين أفراد الجيش الإنكشاري. ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقة بين الطريقة البكتاشية ومؤسسة الجند تتجذر شيئا فشيئا وأصبح الدراويش العزاب أو كل محب بكتاشي هو إنكشاري متطوع يشارك في حروب توسع الإمارة العثمانية في الأناضول. كما تروي المصادر توقف السلطان يلدرم بايزيد عند رجوعه من حرب كرمان لزيارة زاوية الحاجي بكتاش، وهذا في حد ذاته حدث مهم. ويروي "الكونط مرسيكلي" الذي سقط أسيرا في حصار فيينا أن آغّه الإنكشارية كان يقف كلما سمع كلمة الحاجي بكتاش في اجتماعه بالديوان وذلك احتراما وتقديرا له.

ومنذ أواخر القرن السادس عشر تمت مؤسسة الطريقة البكتاشية واعتبرت الطريقة الرسمية للجند العثماني، فقد تم إدراج الدراويش البكتاشيين في قشلة العسكر الإنكشاري بإستانبول وأوكلت إليهم مهام الاعتناء بمساجد القشلة، أين يقوم كبار شيوخهم بالدعاء لسلامة الجيش العثماني واستشراف النصر لعساكره. كما أصبح شيوخ هذه الطريقة يعينون برتبة أمير ألاي وتم انتداب ثمانية من دراويشهم في صلب الوجلّ الإنكشاري أدرجوا في طابور عدد 99 من جند الأورطلر. وهؤلاء الثمانية ينقسمون إلى مجموعتين الأولى يقومون بالتكبير والهيللة البكتاشية فترى عددا منهم يردد عبارة "الله كريم"، والبقية يرددون بعبارة "هووو" (Hu) وهي عبارة تعني "الله"، ومأخوذة من عبارة "لا إله إلا هو" وهي من آداب التصوف لدى البكتاشيين. وفي سنة 1591 م، تكونت من فرقة من عساكر دراويش البكتاشية يلبسون لباسا أخضر ويتقدمون ركب الآغا في سيره واضعون قبضاتهم على بطونهم أسوة بأدب التربية البكتاشية، مهللين بين الفينة والأخرى بعبارة "هووو" (Hu). ولقد ظهر مدى تجذر التصوف البكتاشي في الأهازيج والأناشيد العسكرية للجيش العثماني فقد كان العسكر يردد عند خروجه للحروب أهازيج طويلة بأصوات جوهرية قوية يذكر فيها اسم الحاجي بكتاش ولي: "الله الله آيوالله... كبيرنا عظيمنا الحاجي بكتاش ولي، ندعي له كلنا"⁸⁷.

⁸⁴ الدعاء العصمنلي :

« Bu tesis ettiginiz askerin adi yeniceri olacak, yuzu ak ve parlak, bazusu muthis, kilici keskin, oklari muhlik, hep muharebelerde galip gelecek, daima muzafferiyette avdet eyleyeceklerdir ».

⁸⁵ انظر مادة: "الحاجي بكتاش ولي" في موسوعة الوقف الإسلامي، (باللغة التركية)، ج 14، ص 455.

⁸⁶ فخري معدن، 2005، ص 175، 177.

⁸⁷ أهازيج الجيش العثماني: النص التركي:

" Allah Allah eyvallah ... Primiz, Hunkarimiz **Hacci Bektas Veli** Demine devranina Hu Diyelim "



الصورة 13: دراويش الطريقة البكتاشية، ق 16م.
(من ألبوم كودكس فيندوبونونسيس 8626، المكتبة الوطنية بالنمسا، ق 16م).

2.2. ديوان الجند ومقام الحاجي بكتاش بإيالة تونس

ينفرد محمد الصغير بن يوسف في كتاب التكميل الشافي للغليل عن بقية المصادر التاريخية الاخبارية بذكر اسم الحاجي بكتاش فيقول: "أعرف زيّ النشرية وأما قيافة (kıyafet) الترك ولباسهم وتمييز من يتولى منهم طريقاً فلهم علامات لا ندري عمّن أخذوها إلا ما يقال أن الولي الحاج بكتاش التركي هو الذي قوّن قوانينهم وميزهم عن غيرهم بلباس يقال له الكبسات"⁸⁸. ويبدو أن محمد الصغير بن يوسف هو المؤرخ الوحيد المؤهل لذكر هذا الخبر من دون بقية الاخباريين، وهذا طبيعي فهو كورغلي من أب تركي علّمه اللغة والثقافة التركية.

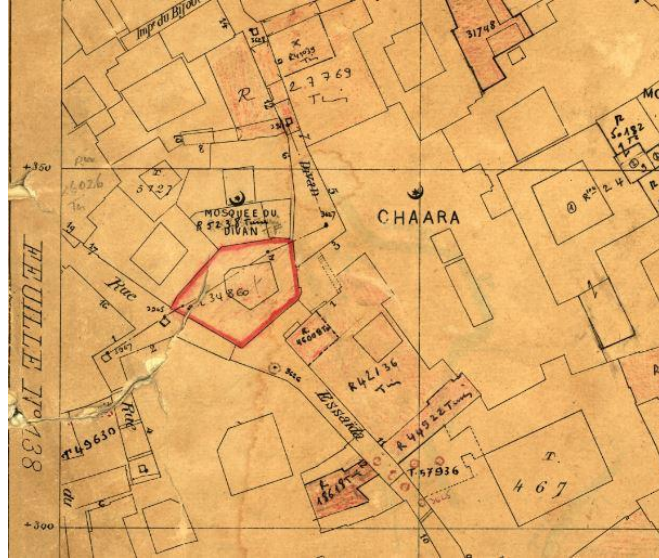
ويقع الديوان بمدينة تونس المسورة، في مكان غير بعيد عن مقام الولي الصالح سيدي جفال، ويعرف الديوان بتسمية دار الشرع (الخريطة 1). ويجب الإشارة إلى وجود نوعين من الديوان، ديوان الجند الذي نحن بصدد الحديث عنه، وهو مقر اجتماع الآفة وأكابر الجيش، وديوان آخر صغير يكون بالقصبة أو بدار الإمارة أو الخلافة أو دار الباشا والباي، ويغير مكانه بتغيير مكان إقامة الباشا والباي، فيكون دائماً مرافقاً له ولحاشيته ويعرف بـ "مجلس الباي" أو "ديوان الباي". ولا نعلم إن كانت واقعة البلوكباشية قد جدّت بالديوان الذي يعرف بدار الشرع والقريب من بطحاء رمضان باي اليوم؟ أم في ديوان كان داخل القصبة، فقد ذكر ابن أبي الضياف أن الإنكشارية "هجموا على البلكباشية في الديوان بالقصبة وقتلوا منهم ثمانين رجلاً"⁸⁹. فهل كان هناك ديوان أول بالقصبة قبل بناء الديوان الثاني الواقع بنهج سيدي جفال؟ أم أن ابن أبي الضياف يقصد نفس الديوان، وقوله بالقصبة هو تحديد للمركز الإداري أي القصبة ومجالها القريب منها الذي يجمع كل مؤسسات الحكم الأخرى؟

يقدم لنا محمد الصغير بن يوسف وصفاً دقيقاً يتطابق مع بناية الديوان الذي يقع بالقرب من سيدي جفال اليوم فيقول: "فاخترع الذين من بعده (أي سنان) وأخذوا داراً من دور الحفاصة ورسموها مجمعا وسموها ديواناً فجعلوا للآفة رأس العسكر كرسيّاً عند باب البيت يجلس عليه وجعلوا أبنّاكاً من عود كالدكاكين يمين الآفة ويساره،

⁸⁸ الصغير بن يوسف، 2023، المصدر السابق، ج 1، ص 318.

⁸⁹ ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 28.

والمحلّ مستطول ليس بالعريض يجلسون على الأبنك بلكباشية ومن الجهة الأخرى، وهذا الديوان ثلاث طوالات والوسطاني منهم فارغ رأسه فيه بيت كبير يفتحوها كل يوم الصباح إذا جاء أهل الديوان ولهذا الديوان زوج من الخوجات كبير وصغير مقابل في الجلوس للآغة في رأس الطوال، وفي يدي الخوجتان دفاتر العسكر بأجمعه فيها أسماء العسكر وراتبه أم هو حي أو مات⁹⁰. وعمارة الديوان اليوم تنطبق على هذا الوصف فالمنازل الحفصية الفاخرة يولج إليها بمدخل منكسر عبر سقيفة مغطاة تفضي إلى رواق مستطيل أو "مستطول ليس بالعريض" على حدّ قول الصغير بن يوسف ذي ثلاثة أروقة "ثلاث طوالات" الأوسط مكشوف في قاعه بالجهة المقابلة غرفة عرضية تحتوي على دكاكين أو مسطبات خشبية جانبية وفي صدر الغرفة كرسي آغة الإنكشارية. ويقابل كرسي الآغة كراسي الخوجات⁹¹.



خريطة 1: موقع الديوان أو دار الشرع، خريطة مدينة تونس، ورقة 139.

يحتوي الديوان على غرفة بالركن الجنوبي الشرقي يوجد غرفة تحتوي على مقام أو مزار شيخ الطريقة البكتاشية الحاجي بكتاش ولي. يعتلي مدخل هذه الغرفة نقيشة من المرمر الأبيض نقش عليها شعري عثماني، يذكر أن القبر هو للشيخ الحجي بكتاش ولي، وهذا محتواه:
النص العصمنلي⁹²:

بسم الله الرحمن الرحيم	سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين
منظر عالم أراد ⁹³ زمه-ء يكچريان	قرولور هر صبح انده يول اركان
مظهر كرم أولياء ديوان عالي	تكه-ء سلطان حجي بكتاش ولي
بسنديده قلسلر عجمي ⁹⁴ خاص عام	سنه بيك يوز قرق ايكيدده اولدي تمام
	مُقه محمد بن علي قربورنلي

⁹⁰ الصغير بن يوسف، 2023. المصدر السابق، ج 1، ص 322.

⁹¹ يوجد في أرشيف الصور المحفوظة بالدار الوطنية للكتب بتونس صور قديمة كبيرة الحجم تصور ديوان جند تونس، وتتطابق المشاهد المصورة فيها مع الوصف الذي يقدمه الصغير بن يوسف. نشرها الأستاذ توفيق البشروش كملاحق في موسوعة مدينة تونس.

⁹² نشر نص هذه النقيشة من طرف كل من الأستاذين محمد شاكار في كتابه حول الكتابات العصمنلية في مدينة تونس، والأستاذ فتحي الجراي في أطروحته حول النقائش العثمانية بإيالة تونس في العصر الحديث. انظر : الجراي (فتحي)، 2007. نقائش معالم إيالة تونس في العصر الحديث: دراسة نقائشية وتحليلية، (باللغة الفرنسية)، أطروحة دكتوراه تحت إشراف منيرة شابوطو رمادي، (جزآن)، ج 1، ص 205.

⁹³ أراد (arad) هو اسم ملاك في التراث الإيراني. ملاك يتكفل بحماية اليوم الذي تختفي فيه الشمس في التقائهما مع القمر.

⁹⁴ يقصد بمصطلح عجمي، أي رومي عثماني.

بسم الله الرحمن الرحيم	سلام عليكم طبتتم فأدخلوها خالدين
ملاك العالم آراد، ملاك زمرة الإنكشارية	يرى كلما تنفس الصبح، وهو مرشد طريقنا
ولي الديوان العالي، ذو المظهر الكريم	زاوية السلطان الحاج بكتاش ولي
تاريخ عجمي ذو مظهر جميل للخاص العام	سنة ألف ومائة واثنين وأربعين كان تمامه
	تمّقه محمد بن علي قربورنلي

ويوجد وسط هذه الغرفة تابوت أخضر به نقيشة كتبت على لوح خشبي ينتهي أعلاه بشكل زهرة القرنفل، وهذا اللوح مزين باللونين الأصفر والأخضر، اللونان المحبذان لدى البكتاشيين، وهي نفسها الألوان التي تظهر في الرسومات التشخيصية للولي الحاجي بكتاش نفسه. وكتب نص النقيشة بخط الثلث الجلي على أرضية بنية اللون. ونص النقيشة هي آية قرآنية من سورة يونس الآية 62: "بسم الله الرحمن الرحيم ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". واعتمادا على نص النقيشتين؛ التخليدية والقبرية، فإن هذه الغرفة هي الزاوية أو "التكة" البكتاشية المنسوبة للحاجي بكتاش ولي الأناضول.



الصورة 14: صورة النقيشة التي تحتل مدخل الزاوية البكتاشية بالديوان 1142 هـ / 1729 م. (تصوير الباحث، 13 أكتوبر 2020).



الصورة 15: نقيشة التابوت داخل التكة البكتاشية بتونس. (تصوير الباحث، 13 أكتوبر 2020).



ولقد أشار محمد بن خليل الطواحني الذي كان يتعاطى مهنة بيع الكتب بسوق البادين بتونس العاصمة، في كُناشه الذي جمع فيه معطيات حول رجال الحاضرة من شعراء و أعلام وشيوخ القرن التاسع عشر، أشار إلى وجود هذه النقيشة بقوله: "وكان بسقيفة الديوان المذكور قبل أن يصير دار الشريعة لوح من رخام مكتوب بالتركية أيضا وقد عُرِبَ وإذا مضمونه أن جماعة الأعجام والخاص والعام يجتمعون هناك صبيحة كل يوم ويقرؤون فاتحة الكتاب للولي الصالح الحاج بكتاش"⁹⁵. وهو يقصد هنا النقيشة العصمنية التي تعتلي الغرفة التي بها قبر الحاجي بكتاش باشا والتي ترجمنا نصها أعلاه.

كما يفيدنا الطواحني بوجود نقيشة ثانية كانت مثبتة بمدخل الديوان وتحديدًا على يمين الداخل للبيت الكبير من الديوان قبل أن يصير دارا للشريعة، وهذه النقيشة تتمثل في لوح من رخام ملصق بالحائط مكتوب بالتركية ومضمونه: "أرسل مولانا السلطان فرمان إلى دار الجهاد بلد تونس المحروسة ميرميران مدليسي⁹⁶ باشا الشريف وآغه الديوان سليمان آغه وصاري عسكر الحاج مصطفى داي وأن ولايتهم بالفرمان المذكور مخاطبا به أهل الديوان والينيتشيرة وأصحاب المملكة التونسية وذلك في ترتيب طائفة الينيتشيرة وبيت مال المسلمين وتعمير القلاع والأبراج واستقامة الديوان المنصور وكل من هو ينتشري في حال حياته وفي مرضه ومماته يهب الثلث من حر ماله شرعا لمن يشاء ولا يمنعه مانع ولا يتعرض له أحد في فعله جعلوا ذلك قانونا جاريا على كل أحد منهم وعلى الباشا مثلهم جعلوا ذلك لتقوية البلاد والعساكر وذلك لاستقامتهم والذي يفعل منهم [17و] بغير وجه شرعي وبغير قانون يردوا عليه فعله ولو كان الباشا نفسه وتاريخ هذا المسطور أعلاه في سنة 1086 هـ [1676 م]⁹⁷. ولا أثر لهذه النقيشة اليوم في الديوان، ولا نعرف هل هي محفوظة في مخازن المعهد الوطني للتراث أم أنها اندثرت بعد التحويلات التي عرفها مبنى الديوان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. لكن يشير الفرمان المكتوب على شكل نقيشة والذي نقل مضمونه لنا الطواحني إلى أمر هام يتعلق بالوضع القانوني للباشا وللإنكشاري بالإيالة التونسية، فقد أصبح لكل منهما الحق في توريث ثلث ماله لمن يشاء إن كان متزوجا وله أبناء، وإن كان غير متزوج ومات دون عقب يرثه بيت مال المسلمين وليس له الحق أن يورث من يشاء. ويبدو أنه في نهاية القرن السابع عشر تم تقليص نفوذ بيت مال المسلمين والديوان على العساكر وأصبح للإنكشاري حق في الزواج.

3.2. امتداد الطريقة البكتاشية من إيالة مصر إلى إيالة تونس

لئن عرفت الطريقة البكتاشية انتشارا واسعا في إيالتي الأناضول والروملي (لها زاوية في جزيرة كريت مثلا)، حتى سجلت حضورا قويا في إيالة مصر العثمانية. ورغم صمت المصادر التاريخية والمناقبية عن حضور هذه الطريقة بالقاهرة قبل السيطرة العثمانية على أرض كنانة فإن بعض الروايات التاريخية تنسب استقرار الولي المتصوف الدرويش "غبيي" (Gaybi) المشهور باسم كايكوسوز (Kaygusuz) وهو أحد طلبة "أبدال موسى" استقراره بالقاهرة وتأسيسه لزاوية بابا بكتاش وذلك منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي. ومع حلول الأتراك العثمانيين بمصر وتأسيسهم للإيالة، انتقلت هذه الطريقة عبر الجيش الانكشاري إلى مصر. وقد ذكر لنا الرحالة "أفليا جلبي" (ق17م) أنه في حدود نهاية القرن السابع عشر كان يوجد 4 زوايا (دركاه) مخصصة لطريقة الحاجي بكتاش بالقاهرة وهي على التوالي: تكة حسن بابا، وتكة كايكوسوز بابا وتكة عبد الله أنصاري داخل القلعة بالمقطم وأخيرا تكة قصر العين⁹⁸. ويذكر ابن أبي دينار في كتاب المؤنس أن سنان باشا أمر عند وصول العمارة العثمانية بإرسال البكرباي إبراهيم بك صعبة عدد من الانكشاريين من صناع مصر المحروسة لتعزيز صفوف جنود حيدر باشا ومصطفى باشا لمحاصرة

⁹⁵ محمد بن خليل الطواحني، كُناش الطواحني، مخطوط رقم 18763، من مجموعة حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الوطنية بتونس، ص 17.

⁹⁶ والتصحيح مدلي باشا نسبة إلى جزيرة ميدلي ببحر ايجة.

⁹⁷ الطواحني، المصدر السابق، ص 16 - 17.

⁹⁸ فؤاد كوبرولو، 1936 - 39، ص 13 - 29.



مدينة تونس وبداية المناوشات⁹⁹. كما يضيف حسين خوجة في بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان أن سفر باي سنجق الاسكندرية كان من بين أعيان السناجق الذين استشهدوا في معركة حلق الوادي¹⁰⁰.

تتوافق هذه الإشارات حول مشاركة انكشارية إيالة مصر العثمانية في حملة حلق الوادي مع موضوع وثيقة أرشيفية مؤرخة برجب من سنة 984 هـ / 1576 م، حيث احتوت الوثيقة على قائمة أسماء الجنود الانكشاريين الذين شاركوا مع سنان باشا في فتح القلعة والبستيون، فعلاوة على العسكر الذي اصطحبه سنان باشا في الاسطول القادم من استانبول والمتمثل في الأربعة آلاف نفر من كبار موظفي الديوان الذي سيرسم في تونس، نجد ذكرا للجنود القادمين من وجق انكشارية إيالة مصر، إذ تذكر الوثيقة اسم الفقير إبراهيم بك الذي كان يتأسس 74 جنديا من جماعة القونوللو و35 جنديا من جماعة التوفنكتجي و42 جنديا من جماعة الشراكسة و274 جنديا من انكشارية مصر و40 من جماعة فرقة عزابة مصر، ليكون عددهم الجملي 465 نفرا حصل كل واحد منهم على 3 أقة ترقى¹⁰¹. ومن بين هؤلاء الجنود نذكر أسماء البعض على سبيل المثال لا الحصر: خذر أصيل البوسنة ملحق من متطوعي مصر، أحمد محمودي ملحق من متطوعي مصر، علي حميدي ملحق من متطوعي مصر، محمد بن عبد الله أصيل جزيرة الموره من متطوعي مصر، علي الكراداغي ملحق من متطوعي مصر، مصطفى أصيل أرزوروم ملحق من متطوعي مصر، تيموري من استانبول ملحق من متطوعي مصر، حسن أصيل أكشهير ملحق من متطوعي مصر، الاستانبولي إبراهيم علي ملحق من متطوعي مصر¹⁰². لقد قام هؤلاء المتطوعين من جماعة القونوللو ومن شراكسة مصر بالمشاركة مع سنان في فتح تونس سنة 1574 م، ومنهم من استقر بتونس ولم يعد أدراجه بعد نهاية الحرب. ولا شك أن هؤلاء هم من قاموا بنقل الطريقة البكتاشية إلى تونس وادماجها في صلب الديوان بإيالة تونس. ولولا استقرارهم بإيالة تونس ومطالبتهم بالاندماج في وجقها الانكشاري الجديد ما كان لهذه الطريقة أن تنشأ أبدا.

ولم تظهر هذه الطريقة في إيالة الجزائر لعدم وجود الشق الممثل لها في الجيش الانكشاري الذي تركه خير الدين بربروس، لكنها ظهرت في لقب أحد الدايات وهو الداى أبو النصر محمد بكداش (1707 - 1710 م) الذي انتخب عوض الداى حسين خوجه الشريف. وطبيعي أن يكون هذا الداى بكتاشيا لأن أباه نور الدين أبي الحسن علي بن محمد من مواليد مدينة نيد (Nigde) التركية والتي تقع بالأناضول في قلب مجموعة زوايا أبدال الروم وبابا حاجي بكتاش. وحسب كتاب التحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري الموسوم بالتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية والذي يسرد لنا دولة الداى أبو النصر محمد بكداش فإن هذا الداى أنزل من سدة الحكم سنة 1705 وهرب إلى طرابلس ثم دخل تونس واجتمع مع أصحابه أسود الفقراء فتألفوا في حينهم وأرادوا الرجوع لوطنهم فمنعهم الباي¹⁰³. ويفهم من هذه الإشارة أن الداى محمد بكداش اجتمع مع زمرة الانكشاريين المتصوفة من البكتاشيين بتونس وأراد الاستقواء بهم للرجوع للجزائر. لكن محقق الكتاب لم يتفطن إلى نسبة هذا الداى للطريقة البكتاشية وفسر لقب بكداش بالصخرة القوية، الأمر الذي لا يمكن التسليم به أبدا. لقد تلقب بعض رجال الدولة العثمانية بإيالة تونس أيضا بلقب بكتاش مثل "الباشا بكتاش" الذي توجد نقيشة قبره العصمنية في الجدار على يمين الداخل لمستشفى عزيزة عثمانة بالقصبة والذي توفي سنة 1689 م.

⁹⁹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 187.

¹⁰⁰ حسين خوجه، المصدر السابق، ج2، ص 297.

¹⁰¹ أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، دفاتر المالية، الدفتر رقم 18343، بتاريخ 19 رجب 984، 11 أكتوبر 1576.

¹⁰² المصدر نفسه.

¹⁰³ محمد بن ميمون الجزائري، 1981.



حوصلة عامة

في ختام هذا المقال، الذي أردنا به توضيح بعض الجوانب المتعلقة بتراتبية كبار ضباط مؤسسة الديوان المرسوم من قبل سنان باشا عشية دخول العثمانيين لولاية تونس، يمكن أن حوصل نتائج البحث التي توصلنا إليها بعد قراءة معمقة ومحاولة فهم وتحليل لمجموعة من المتون المصدرة والنقاش الأثرية المكتوبة في النقاط التالية:

أولاً: علينا التذكير بأن الأربعة آلاف جندي الذين استقدمهم سنان باشا من إسطنبول لا يمثلون سوى كبار ضباط الديوان أي الدايات وأغوات الانكشارية وجماعة الايدباشية والبلوكباشية والصولاك والأوضباشية والشواش فقط دون احتساب اليولداشية أو الجند الانكشاري. وقد كان مكان جلوس هؤلاء إما في الديوان المنصور أو في دار الباشا حيث ذكرت لنا المصادر التاريخية أسماء بعض منهم كدرغوث شاوش الديوان ورجب كاتب الديوان¹⁰⁴ وقارة مصطفى شاوش الديوان وعسلي (Asli) التركي آغة بيت مال الديوان، وأحمد بن الحاج حبيب التركي ترجمان الديوان¹⁰⁵، والترجمان الثاني بولكباش تركي عجمي¹⁰⁶. ويجب الإشارة إلى أن أسماء الرتب العسكرية للجند الانكشاري هي ثابتة لكن تراتبية "الجماعات" هي تراتبية معقدة ومتداخلة بين الإداري والعسكري، وأحياناً نلاحظ التساوي في الرتب العسكرية وتداخلا بين اسم الوظيفة واسم الرتبة السياسية. كما أننا استنتجنا أنها تراتبية متحوّلة عبر الزمن فهي تخضع دون شك لتأثير الانقلابات وتخضع لمراعات صعوبات التعايش مع الحقيقة المغيرة للأرض المفتوحة وسكانها المحليين، وتخضع أيضاً لتأثير العقلية العسكرية التي لا يمكن أن نستثني منها الجانب الذاتي المتمثل في المحافظة على اسم الرتبة العسكرية القديمة عند الوصول إلى الزعامة والقيادة من مبدأ الاعتزاز بالأصل. فالبكلربكي هو نفسه الباشا والقبطان داريا (أي قطار البحر) هو نفسه باشا وأحياناً سردار العسكر أي من جماعة الضباط الكبار في القيادة العليا للجيش. وتشير النصوص إلى نفس "القيمة الزعامية" للداي ولآغة الانكشارية فكلاهما من كبار العسكر. ولا تبعد الرفعة العسكرية لجماعة "الإيباشية أو الأطباشية" عن المكانة المرموقة التي يتحلّى بها جماعة البلوكباشية. ويمكن لمن شغل منصب الشاوش من قبل أن يصبح "اختياراً" من رجال الدولاتلي ثم يرتقي لمرتبة الدولاتلي نفسه. وما رأيكم في أن العشي أي الطباخ الذي يطهو الطعام لجماعة الديوان ينتمي للجماعات العسكرية المرموقة. كما أن نظام الترتي يَمُكِّن اليولداش أو اليولداش من الترفع في سلم الجهاز العسكري مروراً بكل الرتب إلى أن يصل لمرتبة البلوكباشي أو حتى إلى آغة الانكشارية، لذا نجد نصوصاً - كتبت في أزمنة مختلفة - تذكر لنا التراتبية من زوايا نظر ومقاربات مختلفة. فمثلاً كشفت لنا النصوص أن "الصولاك" هي رتبة عسكرية تنتمي إلى كبار جماعة الأوضباشية، الشيء الذي كنا نجهله. كما لاحظنا أن الزغرجي وهو المسؤول على تربية كلاب الحرب السلطانية يمكن له أن يُعَيِّن كآغة انكشارية في الإيالات العثمانية. وهنا نفهم التغيير الذي حصل على تراتبية ديوان الجند بإيالة تونس بعد سنة 1591 م، فهي مختلفة تماماً عما كان عليه الوضع قبل تصفية البلوكباشية. فقد كان الآغة هو المتحكم في الديوان وبعد الانقلاب تربع الداي في أعلى الهرم بامتيازات الباشا باسم الدولاتلي. كما أننا سنعرّف في مصادرها الاخبارية على تسميات عسكرية أخرى متناثرة من أصل تركي كالسكبان والصمصونجو باشي والعشي والتوفنجي والهمبرجي والمهتار والشربجي وهي رتب ووظائف تندرج ضمن الجهاز العسكري العثماني. ولا يجب أن نتغافل عن الفرق العسكرية المستحدثة بالتوازي مثل الباش حانبة وعسكر زواوة والمخازنية والصبايحية الغير أتراك، وغيرهم من الأطياف التي جنّدها الحكام من أولاد العرب والترك والكورغلية في فترات متأخرة عن القرن السادس عشر الميلادي.

ثانياً : كانت قسوة معاملة جماعة البلوكباشية وأولادهم العزريّة من جهة أولى وتردي الأوضاع المالية وعدم التحكّم في ضبط قيمة أجور موظفي الديوان وإحداث خطط إدارية موازية، وعجز بيت المال وإدارة الديوان على تسديد

¹⁰⁴ عظم، 2010، ج1، ص 20، ج 9، ص 135، 139، 369، 372، 374.

¹⁰⁵ أحمد السعدواي، 2015، ص 433 - 434.

¹⁰⁶ الصغير بن يوسف، 1998-2009، ج2، ص 148.



علوفات العسكر من جهة ثانية، كانت هي الأسباب الرئيسية وراء تمرد العساكر وتأزم الأوضاع الداخلية للقيادة العليا العسكرية وتذمر صغار ضباط الجيش الانكشاري من تصرفات أسيادهم الأعلى منهم رتبة. وإلى جانب اليولداش ووكلاء الخرج والقضاة المتضررين من سطوة جماعة البلوكباشية، كان الداى يعيش نفس الضيق. ورتبة الداى من الرتب العسكرية التي كانت موجودة صلب إدارة الديوان، لكن كانت رتبة ذات طابع عسكري بحت. وهذه الصفة العسكرية لم تمنعه من ممارسة وظيفته الإدارية وحضوره الأساس كحاكم الوقت في الديوان، فقد أفادنا الصغير بن يوسف أنه من مهامه الأخرى التدخل للحكم في القضايا التي استعصت على خوجات الديوان. وبعد سنة 1591 أصبح الداى على رأس الديوان واتخذ اصطلاحا جديدا يسمى "الدولاتي" وكون جماعات من قدماء الشواش تحتها عوض البلكباشية والأودة باشية. وهذا يحسم الجدل في حقيقة الدور الذي عاد للدرايات بوصفهم أهل رتب عسكرية بالأساس.

ثالثا: كانت جماعة العسكر العثماني بإيالة تونس على علاقة ولائية وروحية كبيرة بشخصية الشيخ الحاجي بكتاش ولي، فقد حافظوا على ممارسة التربية الصوفية البكتاشية التي تناقلها أجدادهم من العساكر، كما خصصوا مقام أو تكية بكتاشية في غرفة تفتح في أحد أروقة الديوان تحتوى على تابوت ينتسب إلى الشيخ الحاجي بكتاش الكبير وذلك للتبرك به. وقد قادنا البحث إلى تتبع جغرافية وصول هذه الطريقة البكتاشية إلى تونس، فقد تبين لنا أن جماعة القونولو وجماعة شراكسة مصر الذين التحقوا كتعزيز لمساندة سنان باشا في معركة حلق الوادي والذين استقروا بعد الفوز بإيالة تونس للحصول على أراضي التيمار، هم الذين استقدموا الطريقة البكتاشية المتواجدة آنذاك في القاهرة، وبحضورهم وحلولهم بتونس حضرت طريقتهم في الأراضي الجديدة. إن عدم وجود ذكر لهذه الطريقة العسكرية في إيالة الجزائر يدعم رأينا القائل بأن طريق البكتاشية امتد إلى تونس برا عبر مصر. فبالرغم من الحضور الرمزي الذي يتميز به هذا الشيخ في ذهنية كبار العسكر العثماني الذين اشتغلوا في جند الجزائر فإننا لم نعثر إلى اليوم على إشارة تدل على وجود زاوية أو تكية بكتاشية في ديوان جندهم.

إن كل هذه المعطيات المتعلقة بالاتصال الوثيق بين كبار ضباط الإدارة العسكرية العثمانية والتصوف البكتاشي تعكس لنا مدى حضور الرمزية الدينية للصف التركي بالإيالة. كما تساعدنا على فهم أشكال سحبها على النظام السياسي من خلال اتصالها بتنظيم مؤسسة المحلة وربطها بالنموذج الإداري العثماني الجديد، ثم كيفية ترتيب أشكال تنظيم كبريات الطرق الصوفية تونسياً وبرتوكولات خروجها الاحتفالي ومضمون أناشيدهم لاحقا. وهذا ما يستحسن التوسع في استقصائه ورده إلى ما قد تصح تسميته باستعارات الثقافة المادية للتونسيين بين المحلي والوافد.



الملحق 1 : (جدول الهيكلية الإدارية لتراتبية مؤسسة الباشالك وكبار جماعة ديوان الجند والقصة بإيالة تونس في القرن 10 هـ/ 16 م).

الباشالك ومقرها دار الخلافة	
قبل 1591 م	بعد 1591 م
بكلربكي / باشا	باشا / والي
كاهية الباشا والشاطر	؟
إدارة العسكر ومقرها الديوان	
قبل 1591 م	بعد 1591 م
آغة الإنكشارية	دولاتلي (داي)
(كبير العسكر ورئيس الديوان)	-
الداي (رئيس المئة ومكانه القصة)	جماعة الاختيار
كاهية الآغة والايدي باشية	(قدماء الشواش المقربين من
(مساعدو الآغة)	الداي)
جماعة البلوكباشية	البلوكباشية
عزري (خادم البلوكباشي)	-
جماعة الصولاك (8)	؟
جماعة الأوده باشي (5)	الأوده باشي
(رئيس العشرين رجلا)	وكيل الخرج
آغوات وكلاء الخرج	قاضي حنفي
قاضي حنفي	جماعة الترجمان والكتبة
جماعة الترجمان والكتبة	جماعة الشواش
جماعة الشواش (4)	خوجات
خوجات (2)	يولداش / إنكشاري
يولداش / إنكشاري	يولداش / إنكشاري
القصة مقر العسكر	
قبل 1591 م	بعد 1591 م
الداي	الداي
قيادة المحلة	
قبل 1591 م	بعد 1591 م
الباي (تحت اشراف ونظر كل من	اختيار من رجال الداى
الباشا وآغة الانكشارية والداي)	

المصادر والمراجع

أرشيف رئاسة الوزراء بإسطنبول، دفاتر المالية، الدفتر رقم 18343، بتاريخ 19 رجب 984، 11 أكتوبر 1576.
 بيّات (فاضل)، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية تونس في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإسطنبول، المجلد 10، اسطنبول، 2022.
 ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، 1979، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس.
 عظم أبو القاسم، 2010، كتاب الأجوبة، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيت الحكمة،
 خوجة حسين، د.ت.، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق الطاهر المعموري.



- خوجة حسين، 2014، **بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، حققه ووضع حواشيه محمد أسامة زيد، دار ابن رجب وابن فوائد للنشر والتوزيع، القاهرة.
- السراج الوزير، 1985، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، (3 أجزاء)، دار الغرب الإسلامي.
- الصغير بن يوسف محمد، 2023، **التكميل الشافي للغليل على كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون**، تحقيق محمد فوزي المستغامي ومراجعة منيرة شابتو الرمادي، (جزآن)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس.
- ابن أبي الضياف أحمد، 2008، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الآمان**، (8 أجزاء)، تحقيق لجنة من وزارة الثقافة، تونس.
- الطواحي محمد بن خليل، **كناش الطواحي**، مخطوط رقم 18763، من مجموعة حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الوطنية بتونس.
- كوتشو رشاد أكرم، 2004، **الإنكشارية**، (باللغة التركية)، اسطنبول، ص 74.
- السيد محمود سعيد محمد، 1990، **إيالة مصر في القرن السادس عشر**، (باللغة التركية)، حوليات جامعة مرمرة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الحولية عدد 17، اسطنبول.
- عبد السلام أحمد، 1993، **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و 19**، رسالة نقلها من الفرنسية إلى العربية د. أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي، قرطاج، بيت الحكمة.
- إلهان أيفاردي، 2005، **القاموس العصمني قبة أطي**، أنقرة.
- أوغلو محمد، 1994، **"الداي" في الموسوعة الإسلامية التركية** (باللغة التركية).
- أوزدان مصطفى، 1996، **"عصيان الإنكشارية ووقائع خيرية"**، (باللغة التركية)، **مجلة تاريخ العالم العثماني**، العدد 109.
- البشروش توفيق، 1992، **جمهورية الدايات في تونس 1591 - 1675**، مجموعة أيام الناس، تونس.
- توشدي رودولف، 1991، **"بكتاشية"**، بالفرنسية، في **الموسوعة الإسلامية**، الطبعة الجديدة، بريل، باريس.
- نور الدين محمد، 1999، **"الانتفاضات العلوية في الأناضول في القرن السادس عشر"**، في **الأقليات والقوميّات في السلطنة العثمانية بعد سنة 1516**، أعمال المؤتمر الذي نظّمه قسم التاريخ في الجامعة اللبنانية في 28، 29 و 30 نيسان، لبنان، 2001.
- معدن فخري، 2005، **"علاقة الطريقة البكتاشية بالعسكر العثماني وحضورها في عصيان الإنكشارية"**، (باللغة التركية) في **مجلة الحاجي بكتاش للأبحاث والثقافة التركية**، عدد 73، ص 175، 177.
- الجراري فتحي، 2007، **نقاش معام إيالة تونس في العصر الحديث: دراسة نقائشية وتحليلية**، (باللغة الفرنسية)، أطروحة دكتوراه تحت إشراف منيرة شابتو رمادي، (جزآن).
- كوبرولو فؤاد، 1936، **"البكتاشية في مصر"**، (باللغة التركية)، **مجموعة تركيات**، معهد تركيات، جامعة اسطنبول، المجلد 6، ص 13 - 29.
- الجزائري محمد بن ميمون، 1981، **التحفة المرضية في الدولة البكتاشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، ذخائر المغرب العربي، الجزائر.
- بلانتي أوجين، 1981، **رسائل دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي 1579 - 1833 م**، (باللغة الفرنسية)، تقديم الأستاذ عبد الجليل التميمي، تونس، ج 2، ص 16 - 17.
- السعدواي أحمد، **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705 - 1756**، وثائق أوقاف من العهد الحسيني، نشر مخبر الآثار والعمارة المغاربية، تونس، 2015.